التبرج

ومواجهة التحديات

إعداد
قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ

الشباب
ومواجهة التحديات

إعداد

قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ

اسم الكتاب : الشباب ومواجهة التحديات

إعداد : قسم الشؤون الدينية – شعبة التبليغ

الناشر : العتبة العلوية المقدسة

المراجعة : قسم الشؤون الدينية – شعبة التبليغ

الطبعة : الأولى

سنة الطبع : ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م

قياس : ١٤,٨×٢١

عدد الصفحات : ٩٦

عدد النسخ : ٣٠٠٠

الموقع الإلكتروني : www.imamali.net

البريد الإلكتروني : tableegh@imamali.net

موبايل : ٠٧٧٠٠٥٥٤١٨٦

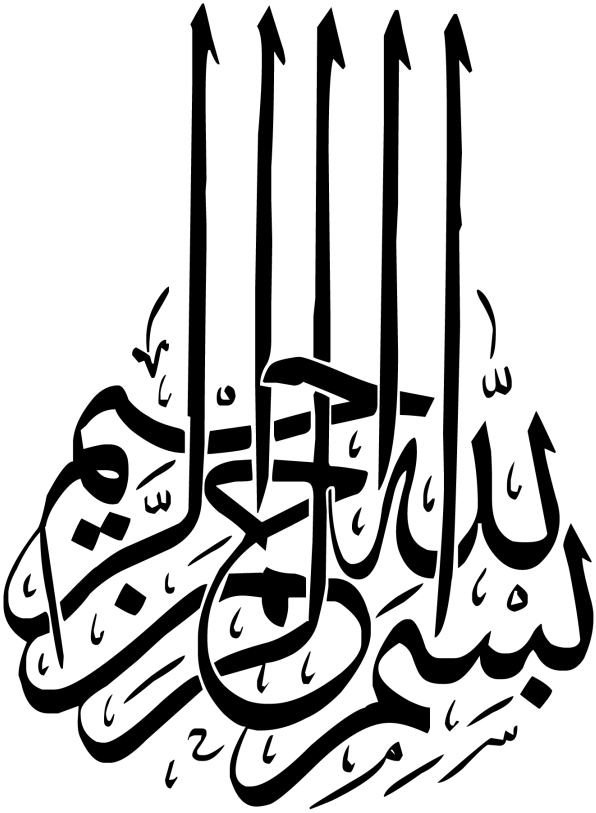
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على اعدائهم اجمعين إلى قيام يوم الدين.

إن من الأمور التي أصبحت تقلقنا وتخيفنا كثيراً أنه كلما تقدم الزمان زادت المخاطر التي تحيط بنا وبأبنائنا خصوصاً الشباب منهم، وذلك لكثرة الاغراءات التي تُصَدّر إليهم والأفكار التي تُدسّ إليهم من قبل أعداء الإسلام على كل المستويات الدينية منها والاجتماعية بل وحتى السياسية، بغية تنشئتهم -لأجل المستقبل- نشأة تتوافق مع مصالحهم وأهوائهم، ويمكن أن نسمي هذا استعماراً إلا أنه بثوب جديد لعلمهم أن استعمار الأراضي والبلدان أصبح أمراً غير ممكن في هذا الزمان أو قل غير نافع، فعمدوا إلى استعمار من نوع جديد وهو استعمار العقول والطاقات الشبابية في البلدان الإسلامية وتسخيرها لما يصب في مصالحهم فإذن الأخطار التي تحيط بالشباب المسلم كبيرة وخطيرة إذا ما قورنت بغيرها والتحديات شائكة يجب عليهم مواجهتها والوقوف بوجههاوذلك من خلال التسلح الفكري والعقائدي والتمسك بالثوابت الدينية ونحن بدورنا نضع بين يدي الشباب المؤمن جملة من القضايا المهمة التي تواجهه والتي هي من صميم الواقع اليومي للوقوف على كوامن الخطأ والخطر فيها وإبراز ما هو نافع

منها، محأولة منا لتقديم ما يمكن تقديمه لهم بغية أن ينتفعوا به في مواجهة التحديات ونسأل الله تعالى بمحمد وآله عليهم السلام أن يحفظ شباب المسلمين من كل سوء ويقيهم مكائد الأعداء إنه سميع الدعاء..

١٠ رجب ١٤٣٦هـ

محمد علي العبيدي

تمهيد لا بد منه:

الشباب هم النسيم الذي يبعث النشاط والقوة، والماء الذي تخضرّ به الأرض، والطاقة التي تحرك عجلة الزمن، ولأهمية هذه الشريحة في المجتمع نراها محط أنظار الجميع، فكل صاحب ثورة أو حركة أو حزب أو اتجاه فكري يحأول أن يستقطبهم إليه، لأن هذه الشريحة تحمل روح القوة والعنفوان الجسدي والفكري، فبالشباب انتصرت الثورات وتحررت الشعوب، وبالشباب انتشرت الأفكار والثقافات.

وبما أن الشباب محط أنظار الجميع والكل يريد أن يجرهم إلى ساحته فلابد للشباب أن يكونوا على حذر من الانطواء تحت أي فكر أو اتجاه أو حركة من دون الاطلاع على أسس ومقررات وأفكار من يريدوا الإنضمام إليه، إن الشـاب -وخصوصاً المسلم- لابد أن يضع أمام عينيه قبل أي خطوة يخطوها ثوابته الدينية والأخلاقية فإن رأى عدم التعارض فلا إشكال، وإلا، فلابد أن يتثبت ولا يخدع بالعناوين البراقة الخداعة، ولايحمل أصحابها على حسن الظنّ مطلقاً فيسقط في الهاوية كما سقط في الركب كثيرون، والتاريخ خيرُ واعظ لمن أراد الاعتبار، ولا نذهب بعيداً جداً ولنقتصر على الفترة المحصورة ما بين القرن العشرين والوقت الحاضر، ولا نتجاوز المكان أكثر فنقتصر على العراق.

فنقول: لقد ظهرت في العراق في هذه الفترة من الزمن اتجاهات فكرية بأشكال مختلفة وأساليب متنوعة قد تكون في بعض الأحيان متناقضة الا أن

هدفها هدف وأحد وهو إماتة روح الدين والعقيدة والأخلاق السامية في نفوس الشباب خاصة والمجتمع عامة، ونستطيع القول إننا يمكن أن نقسم هذه الفترة إلى ثلاث مراحل:

١- مرحلة الفكر الشيوعي.

٢- مرحلة الفكر البعثي.

٣- مرحلة الفكر التحرري المؤطرة بإطار (الحرية).

١. مرحلة الفكر الشيوعي: أو فقل مرحلة نبذ الدين والقول بالإلحاد.

لقد سمحت الاوضاع المتردية في العراق في تلك الفترة بتقوية الفكر الشيوعي، وزادت قوته في الخمسينيات والستينيات تقريباً كما هو شأنه في أغلب البلدان العربية، ولما كان الشعب العراقي أغلبية مسلمة والأسس والثوابت الدينية مستقرة في نفوسهم، لذلك فمن الصعب عليهم تغير هذه المعتقدات بشكل سريع ومباشر فما كان من دعاة الشيوعية إلا أن يتخذوا طرقاً ملتوية تتلائم مع متطلبات الشعب في ذلك الوقت:

١- إن الحزب الشيوعي جاء لينقذ الفقراء من البؤس والفقر المستشري في البلاد، فأمالوا بذلك أصحاب القلوب الطيبة وخاصة الشاب العاطفي الذي يغار على أبناء بلده.

٢- تنوير الفكر ومحو الأفكار القديمة التي لا تتلائم وطبيعة العصر ووصفها بالأفكار الرجعية، والحقيقة أنهم يعنون بذلك الدين خاصة و(الرجعية) كلمة يرجع أصلها إلى أن بعض الدول ثارت على المسيحية وانقلبت البلاد إلى شيوعية لا مجال فيها للدين والتدين، وأصبح كل من يحن إلى عهد التدين الماضي يتهم بعدم الرضا عن الشيوعية ويوصف بالرجعي[1].

(١) (راجع مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الأول: ص٣٩.

وتحت شعار (إنارة الفكر) استطاعوا استقطاب أكثر الشباب إلى ساحتهم، ومن المؤسف له أنه سقط في شراكهم الكثير من المثقفين من كُتّاب وشعراء لامعين ملأوا الآفاق بأشعارهم وكأن الشباب لم يعلموا أن لهم ديناً قيماً وتاريخاً مجيداً ورضوا لأنفسهم بالأقل الأدنى.

٣- مقارعة المحتل والتحرّر منه، وهذا الطريق كان له الحظ الأكبر في استمالة الشباب إليهم لما في نفوس الشباب من روح المقاومة وحب الوطن، وقد خدع بهذا الطريق أكثر الشعوب العربية، إلاّ أنه انكشف أمرهم لما وصل الحال إلى الدفاع عن فلسطين ومقارعة الاحتلال الصهيوني حيث امتنع عن ذلك أقطاب الفكر الشيوعي العرب بإملاء من أسيادهم، ومع ذلك لم يتنبه لذلك الكثير من المثقفين الشباب؛ إذْ يفهم الكاتب المصري محمد جلال كشك- الذي كان شيوعياً فترة من الزمن- أنه خدع من قبل الشيوعيين بل توهم: (خيانة الشيوعية للفكر العربي حينما عارضوا الوحدة العربية)[1]. ومن الواضح أن الخيانة غير الخديعة، فإن الخائن ابتداءً يكون صادقاً ثم تصدر منه الخيانة والمخادع ابتداءً يكون كاذباً، والشيوعية كاذبة من أول الأمر فهي مخادعة.

٢. مرحلة الفكر البعثي:

لقد جاء الفكر البعثي في السبعينيات بقوة لابساً ثوب القومية ليطرد الأفكار ذات الأصول غير العربية كالفكر الشيوعي، ومتقنعاً بقناع الدين لينطوي تحته أكثر الناس باعتبار أن العراق أكثرية مسلمة.

لقد أرجع الفكر البعثي الإسلام إلى الوراء، وذلك بجعله الرابط الذي يربط الإنسان بالإنسان الآخر العرق والدم واللغة، وألغى الرابط

(١) راجع مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الأول.

الديني القائم على أساس التقوى، هذا الأساس الذي أغلق كل أبواب التفرقة والتمييز بين الشعوب المختلفة، بحيث صار لا فرق بين عربي وأعجمي ولا بين فقير وغني، ولا بين أسود وأبيض، بل إنهم ينظرون إلى الإسلام نظرة قومية بحتة، لا لشيء غير أن بداية البعثة انطلقت من الجزيرة العربية، ويعتبرونه فترة من فترات القومية العربية، وينكرون أنه رسالة عامة شاملة لكل اقطار العالم، حيث ينقل عن مؤسس الفكر البعثي أنه كان يقول: إن رسالة الإسلام إنما هي خلق إنساني عربي، وهذا وغيره من الأقوال بمثابة تدرج بالعقول لمحو الفكر الديني حتى يجد الإنسان نفسه غارقة بالأفكار التي تمنعه من الإيمان بالثوابت الدينية والأسس الأخلاقية التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف.

إن الفكر البعثي لا يرى للإسلام الحاكمية في حياة الفرد والجماعة، وإنما الإسلام هو مجرد قيم روحية وللإنسان الحرية في أن يؤمن بها أو لا يؤمن كماو له الحرية أن يقوم بمثل الصلاة والصوم أولاً، ولكن لو دعت الحاجة إلى أن يشتملوا برداء الإسلام يفعلون ذلك إذا كان يخدم مصالحهم تحت شعارات دينية كالجهاد، من أجل الدين والدفاع عن المقدسات والوطن ونحوها والتي لا يؤمنون بها واقعاً، بل يخدعون بها الشباب ليحافظوا على سلطتهم، ورغم كل هذا الوضوح في فكرهم الزائف إلا أنه سقط في مصائدهم الكثير من الشباب الذين صاروا فيما بعد أقطاباً وقادة لحزبهم.

ثم بعد ذلك تغيّرت اللغة التي كانوا يتعاملون بها مع الناس من لغة الكلمة إلى لغة الحديد والنار، وصار أعظم جرم في ذلك الوقت (التدين) الذي مُلئت بسببه السجون، وأثكلت الأمهات، ويتّم الأطفال ورمّلت النساء ولا أعتقد أن أحداً يستطيع نسيان أو تجأهل تلك الأيام المظلمة من

تاريخ العراق.

٣. مرحلة الفكر التحرري(المؤطر بإطار الحرية):

إن العراق بعد سقوط نظام البعث الصدامي دخل مرحلة صعبة من مراحل الفكر فهو لايكاد يقوم من عثرة أعداء الدين السابقة حتى وقع في حفرة من حفرهم، والناس وخصوصاً الشباب منهم أصبحوا كالسفينة في مهب الريح تأخذهم يميناً وشمالاً، ومن الرياح التي عصفت بعقول الشباب فكرٌ جديد يسمى (الحرية) الذي روج له الاستعمار الجديد، والحقيقة أن الحرية من المفاهيم المشككة التي لها أشكال مختلفة بعضها إيجابي والبعض الآخر سلبي، والذي يريد الاستعمار تحقيقه بين أوساط شبابنا هو الثاني، وبما أن الشاب ينتمي إلى عائلة يُعد جزءً منها وهو أيضاً جزءٌ من مجتمع يعيش حياته معهم، وقد يكون أيضاً طالباً في مدرسة أو كلية، فلا بد أن نتكلم عنه في هذه المراحل أو الجوانب المهمة في حياته:

١. **جانب العائلة:** لقد حددت الشرائع السماوية نوع وطبيعة العلاقات الأسرية وبيّنت لكل فرد فيها ما له وما عليه وجعلت في العائلة –باعتبارها نواة صغيرة في مجتمع كبير- محورية يدور حولها باقي أفراد العائلة وهم الأب والأم باعتبارهما الأكبر والأحرص والأكثر إدراكاً من غيرهما في إدارة شؤون الأسرة، إلا أننا في هذا الوقت نرى ونسمع بمسألة جديدة وهي حرية الشاب في العائلة كونه شخصية تحمل معالم التكامل لها الحق في تشخيص الأمور وإن أدى ذلك إلى تجاوز حدود الأب والأم، فهو يفعل ما يحلو له ويخرج ويعود متى يريد لا يجعل وزناً لكلام الأبوين تاركاً وراء ظهره كل الاعتبارات غير ناظر إلى سوء فعله وأنه سيؤدي في النهاية إلى أنعدام ترابط الأسرة.

٢. **جانب المجتمع**: أو فقل التعامل اليومي بين الناس. إنّ الشاب جزء من المجتمع الذي يعيش فيه، فهو معهم كجار لأحدهم ومعهم في المحلة أو المدينة وفي السيارة وفي السوق ونحوها، وفي كل هذه المحالّ لو جعل الشخص الحرية الشخصية أساس تعامله مع الآخرين لأدى ذلك إلى الفوضى وكثرة المشاكل، ونشوب العداوات، وخير مثال لذلك استماع الشباب في الوقت الحاضر للموسيقى والأناشيد أو الغناء من خلال جهاز الموبايل داخل سيارة الأجرة متجأهلين الناس من حولهم غير مبالين بانزعاجهم أو كبر سنهم أو مرضهم في بعض الأحيان، والمشكلة الأكبر أنك لو نصحته ونهيته عن فعله الخاطئ فإنّ أول ما يتذرع به الحرية بقوله: (أنا حر) متصوراً أنّ الحرية تُفسّر بهذا الفعل المشين.

٣. جانب المدرسة أو الكلية: إن أول أهداف أصحاب الأفكار المعادية للدين هم طلبة المدارس والكليات الذين لم يتسلحوا بعد بما يعرّفهم الطريق الواضح، بحيث يكون من السهل أن تنطلي عليهم الشُبه والأفكار المسمومة ومن الأفكار التي يتعرض لها شبابنا الطلبة في الوقت الحاضر (فكرة الحرية) التي يصورونها لهم بأشكال ظاهرها حسن وباطنها قبيح، ومن أفكارهم أن الشاب حرٌ في تحديد شكل مظهره الخارجي، يلبس ما يحلو له حتى لو أدى الأمر أن يظهر الرجل بمظهر المرأة، والمرأة بمظهر الرجل، وبدل أن يكون همُّ الطالب الدرس والنجاح والتفوق صار أكبر همّه أن يجعل هذه الفترة من عمره فترة لهو ومرح ويحرص على تكوين علاقة عاطفية مع فتاة ما، فيفعل كل شيء من أجل جذب اهتمامها له رامياً وراء ظهره مخافة الله سبحانه ومستقبله الذي ينتظره منه الأبوان والوطن، غير ملتفت إلى أن عاقبة فعله ذهاب الأخلاق الحميدة والتراجع في المستوى العلمي العام في البلد.

نعم نحن نريد من الشاب أن يكون حديث النساء لكن بورعه وتقواه وأخلاقه السامية وهي صفات ترغبها المرأة في الرجل، وبهذا يأمرنا أئمة أهل البيت عليهم السلام، ففي الكافي يقول عُبيد الله بن الإمام الكاظم عليه السلام: كثيراً ما كنت أسمع أبي يقول: (ليس من شيعتنا من لا تتحدّث المخدّرات بورعه في خدورهن..)[1].

فالحرية الحقيقية أيّها الشاب حرية انطلاق العقل في بلوغ أعلى الغايات العلمية والنظريات المعرفية التي يمكن أن تخدم المجتمع، وحرية التعبير عن الرأي الصائب، وحرية رفض الظلم والتعسف ومجانبة الخطأ والتقصير وغيرها من الأمور التي لا تصب في مصلحة المجتمع.

(١) الكافي، الكليني، باب الورع: ج٢، ص٨٤.

هناك جملة من التحديات التي يواجهها الشباب ومن أهمّها:

أولاً:

الخجل وبداية التكليف

الخجل أو الحياء حالة نفسية تصيب الإنسان خاصة دون سائر الحيوانات وهي من الصفات النفسية التي تعرض على الإنسان منذ بداية النشأة الأولى له نتيجة لأسباب وعوامل تختلف من شخص إلى آخر وتؤثر فيه على مستوى الروح والجسد، وهو على نحوين:

١- ما هو حسن وممدوح وبه يفوز صاحبه بالذكر الحسن والرضا الإلهي.

٢- ما هو قبيح ومذموم لأنه يؤدي بصاحبه إلى الحرمان والخسران وهو الذي يصاب به على سبيل المثال بعض التلاميذ في المدارس الابتدائية فيحرمون من التفوق والنجاح مع ما يملكون من الامكانيات التي تؤهلهم للتفوق فيكونون في قسم الجهلاء وإلى هذا المعنى يشير قول النبي ﷺ: (الحياء حياءان: حياء عقل وحياء حمق، فحياء العقل هو العلم وحياء الحمق هو الجهل)[1].

وبهذا الداء يصاب أكثر الشباب في مراحل شبابهم الأولى فإن الإنسان

---

(١) بحار الانوار، المجلسي: ج٧٤، ص١٤٩، ط٢، ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء/ بيروت، لبنان.

بعد سن البلوغ الذي يعتبر أول مراحل الشباب ينتقل من حالة إلى حالة أخرى فهو ينتقل من حالة اللعب والهزل إلى حالة الجد والعقل، ومن حالة عدم الإلزام إلى حالة التكليف والإلزام، و لأجل التغيير الذي يطرأ عليه على مستوى العقل والجسم كلفه الله تعالى بجميع الأحكام والتكاليف التي تختص بالإنسان الكامل، أما على مستوى العقل فإنه في هذه المرحلة قادرٌ على التمييز بين ما هو حسن وما هو قبيح ومدركاً لمعنى الأوامر والنواهي ويكون عالماً بمبدأ تحمل المسؤولية، أما على مستوى الجسم فإنه يعرض عليه بعض التغير والنضوج في خلايا جسمه فتظهر عليه أمور لم يكن يعهدها من قبل الجنابة بالنسبة للرجال والحيض بالنسبة للنساء فيكلف بتكاليف تخصّ كل منهما وفي هذه المرحلة يصبح كامل البنية معتدل القوى مما يجعله مستعداً لتقبل بعض التكاليف كالصوم مثلاً ويكون مؤهلاً لأن يكون زوجاً في المستقبل، فكل هذه التغيرات والتحولات في حياته لها أحكام وتكاليف شرعها الله تعالى لمصلحة الإنسان وبينها له على لسان الأنبياء والأئمة عليهم السلام وأوجب على بعض الناس تعلمها وتعليمها والشاب في بداية مرحلة الشباب يكلف بمجموعة أحكام وتعاليم أوجب الشارع المقدس عليه تعلمها والعمل بها ولكن المشكلة التي تقف عائقاً ومانعاً أمام طريق العلم والاستفهام عن بعض التكاليف هي الخجل أو الحياء من سؤال الآخرين عنها، لأنها في الغالب تتعلق بأمور حسّاسة يخشى من الآخرين الاطلاع عليها أو لا تكون له الجرأة الكافية لأن يستعلم عنها، ولذلك نرى أن بعض الشباب يبتلى بالجنابة ولا يعلم بها ولا يعلم وجوب الغسل لها إلا بعد فترة من الزمن لأنه يخجل أن يسأل الآخرين عنها وكذلك الأمر بالنسبة إلى المرأة التي هي أكثر خجلاً وأشد ابتلاءً وذلك باضافة بعض التكاليف

التي تنفرد بها عن الرجل، والخجل بهذا الشكل يعدّ داءً يؤذي صاحبه لأنه يمنعه من المعرفة التي بها تكون نجاته خاصة بعد ضم القاعدة العقلية التي تقول بـ(لابدية) رجوع الجأهل إلى العالم، فإذن نحن أمام حالة مرضية وهي الخجل بمعناه السلبي لابد من علاجها والحدِّ من مخاطرها بأسرع وقت، لأن بقاءها يؤدي إلى تفاقم الخطر على صاحبها وسنحأول ذكر بعض الأمور التي يمكن أن تكون علاجاً نافعاً للتخلص من هذه الحالة المؤذية وهي كالآتي:

الأول: وهو أهمها: أن ينظر الشاب الخجول في النتائج السلبية التي تصيبه نتيجة البقاء على هذه الحالة لأنه بعد أن صار مأموراً بالتكاليف الإلهية وقادراً على تعلمها لا يكون معذوراً أمام الله تعالى والخجل من السؤال لا يعد عذراً يمنع عنه العقاب إذا ما ترك ما أوجبه الله تعالى عليه.

الثاني: أن يختار للسؤال شخصاً قريباً إلى نفسه بحيث لا يشعر معه بالحرج أو يشعر ولكن بنسبة أقل من غيره، وليس من الضروري أن يكون الأب أو الأم فربما يكون الأخ الأكبر أو الصديق أو المعلم؛ إذ يختلف الأمر باختلاف نفسية كل شاب وميولاته الذاتية.

الثالث: أن يعلم أن التعلم والسؤال هو الطريق نحو التكامل والرقي وإن الكل محتاج إليه حتى الأنبياء (صلوات الله عليهم) فإنه مع ماهم عليه من المنزلة الرفيعة والدرجات العالية كانوا لا يدعون شيئاَ إلا ويسألون الله تعالى عنه، وكذلك كانت طريقة الإمام علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله فإنه سلام الله عليه لم يدع شيئاَ إلا وسأل النبي صلى الله عليه وآله.

الرابع: أن يتأمل في كلامات الأئمة عليهم السلام التي تحث الشباب على لزوم التفقه في أمور دينهم وتغلّض عليهم في القول خوفاً من وقوع المؤمنين وخصوصاً الشباب في الجهل الذي يؤدي إلى ترك الواجبات وفعل المحرمات

ومن كلماتهم قول الإمام الباقر عليه السلام: (لو أُتيتُ بشاب من شباب الشيعة لا يتفقه في الدين لأدبته)[١]. وقول الإمام الصادق عليه السلام: (ليت السياط على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام)[٢].

الخامس: أن يشارك في الندوات التثقيفية والدورات الدينية التي تقام في مدينته ويواضب على الحضور إلى المسجد والانتفاع من النشاطات التي تقام فيه فعن الإمام الحسن عليه السلام أنه قال: (من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب إحدى ثمان آية محكمة وأخاً مستفاداً، وعلماً مستفرطاً ورحمة منتظرة وكلمة تدل على الهدى أو تردُّه عن ردى وترك الذنوب حياءً أو خشية)[٣].

السادس: وهو من مهام الأب والأم، لا بد للآباء والأمهات من ملاحظة أبناءهم إذا وصلوا إلى سن البلوغ وإشعارهم بأهمية هذه المرحلة من عمرهم وبيان ما أوجب الله تعالى عليهم من الأحكام وهذا يُعد من حقوق الأبناء على الآباء والأمهات ويذهب البعض إلى جعل يوم بلوغ الأبناء يوم فرح وسرور كيوم عيد الميلاد تقدم فيه الهدايا لهم ليشعروا بأهمية الحدث حتى لا ينسونه وهي فكرة حسنة ولا بأس بها إذا أمكن القيام بها.

هذه جملة من الأمور التي يمكن أن تكون مساعدة على أقلاع الشاب الخجول عن حالة الخجل والتقليل من مخاطرها لو اتبعها مع ضم التوكل على الله تعالى وطلب العون منه تعالى على ذلك فإنه سبحانه خير معين لمن استعان به.

---

(١) ميزان الحكمة، الريشهري: ح١٤٠١، قم، دار الحديث.

(٢) جامع السعادات، النراقي: ج١، ص٩٤.

(٣) مكارم الأخلاق، الطبرسي: ص ١٦٧.

ثانياً:

الصداقة في فكر أهل البيت عليهم السلام:

إن الإنسان في أطوار ومراحل حياته تحكمه بين أفراد جنسه عدّة علاقات مختلفة كالعلاقات العائلية وعلاقة الجوار والزمالة ونحوها، ومن العلاقات البارزة في حياة الإنسان والتي هي محل الكلام (الصداقة)، هذه العلاقة التي تربط البعض بالبعض الآخر بشكل قد يفوق العلاقات النسبية في آثارها ونتائجها، وهذه العلاقة وإن كانت تنشأ في مرحلة الصبا قبل سنّ الشباب الا أنه في هذه المرحلة من العمر تكاد تكون غير جدية وتتلاشى في المستقبل، أما الصداقة في مرحلة الشباب فهي التي تتصف بالجدية وهي التي يمكن أن تدوم إلى آخر حياة الشخص، بل قد تكون آثارها باقية إلى ما بعد ممات الصديق بأن يرى الصديق أن من الوفاء لحقّ صديقه رعاية عائلته والاهتمام بهم أو غيرها من الأمور التي تنفع الصديق في قبره كالدعاء والصلاة له.

إن المسألة المهمة التي لابد للشاب أن يقف عليها ويفهمها جيداً هي كيفية اختيار الصديق الحقيقي فإنها مسألة ليست سهلة بل هي من الأساسيات التي لابد للشاب أن يعيها ويستوعبها ولأهميتها وحساسيتها نرى أن الأئمة عليهم السلام قد خصّصوا لها شطراً كبيراً من أحاديثهم الشريفة، والتي سنمر على ذكر بعضها إن شاء الله تعالى، ومما يفترض أن يلاحظ أن

مسألة اختيار الصديق الصالح رغم أنها من مسؤوليات الشاب نفسه إلا أن لعائلته قسط من المسؤولية أيضاً يؤدونها اتجاهه من خلال توجيهه وإرشاده وإن لزم الأمر متابعته وأمره أو نهيه فيما يتعلق بمصلحته؛ لأن الابن ثمرة الفؤاد فلا يسمحون للغير أن يفسدها.

أما كيف يختار الشاب الصديق الصالح فهي مهمة وإن لم تكن سهلة بالنسبة للشاب لما يمتلكه من رغبات تدعوه إلى جانب اللهو والمرح وكذلك الاغراءات التي تجذبه وتمنيه وتصور له أن فترة الشباب فترة لابد للشاب أن يتحرر فيها من القيود الدينية والعرفية وأن لا يمتثل لنداءات العقل- الا أنها ليست بالمستحيلة بعد الاستعانة بالله تعالى.

مقومات الصديق الصالح:

لعله من الصعب على الشاب أن يدرك في أول مراحل شبابه مقومات الصديق الصالح والمناسب؛ لأن معرفتها إما تأتي من جهة التجربة وهو جديد عهد بها أو من الاستفادة من تجارب الآخرين أو من أشخاص لهم القدرة والأهلية على تشخيص تلك المقومات وإن من أفضل ما يعتمد عليه في هذا الجانب أحاديث أهل البيت عليهم السلام فلقد جاء على ألسنتهم جملة من المقومات التي يفترض توفرها في الصديق الذي يراد مصادقته والتي سنحأول ذكر بعض منها، وهي:

١- أن تكون سريرة الصديق وعلانيته واحدة، فلا يضمر لك خلاف ما يظهر.

٢- أن لايكون كذاباً، لأنه كما يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: (بمنزلة

السراب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب)[١].

٣- أن لايكون أحمقاً (فإنه يريد أن ينفعك فيضرك)[٢].

٤- أن لا يكون فاسقاً فإنه يكون خسيساً يبيع صاحبه بأقل شيء ويحب أن تكون مثله.

٥- أن لا يكون خذولاً لك عند إصابتك بالنكبات وحوادث الدهر.

٦- أن لا يكون بخيلاً فيمنعك عن ماله في المواقف الصعبة.

٧- أن تكون صداقته ثابته فلا تغيره تجاهك الأموال والجاه والسلطة ونحوها.

٨- أن يرى زينك زينه وشينك شينه بأن يراك نفسه فيخاف عليك كما يخاف على نفسه.

هذه جملة من مقومات وحدود الصديق الصالح مستفادة من كلمات الإمام الصادق عليه السلام[٣] والإمام زين العابدين عليه السلام فإن أخذ بها الشاب المؤمن أمِنَ من الوقوع في منزلق قرين السوء وما يتبعه من توابع مؤذية.

لماذا نختار الصديق الصالح؟

إن علم الإنسان بالأشياء كسبي يكتسبه من خلال مشاهداته للآخرين ثم يحأول تقليدهم فيه وغالباً ما تحصل هذه العملية بشكل غير إرادي نتيجة لاختلاطه الدائم بالمحيط الذي يعيش فيه ويمكن أن نقول إن الشاب أكثر تقبلاً للأفكار وتأثراً بها وذلك لأن ذهنه ما زال صفحة بيضاء، فهو يريد أن يعرف كل شيء عن هذه الحياة، وبما أن الشاب يقضي أكثر وقته مع صديقه

(١) الكافي، الكليني: ج٢، ص٦٠٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه: ج٢، ص١٦٠٤.

فيقيناً يتأثر به ويتخلّق بأخلاقه ويفكر بتفكيره فإذن لابد للشاب أن يختار لنفسه الصديق الصالح الذي ينفعه لدنياه وآخرته وإلا فإنه باختياره صديق السوء سوف يختار لنفسه طريق الهلاك فعن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: قال عيسى ابن مريم عليه السلام أن صاحب الشرّ يعدي وقرين السوء يردي فإنظر من تقارن)[1] بل قد يكون نفس مصاحبة الصديق غير الصالح تسبب الضرر وإن لم يأخذ أو يكتسب منه وذلك فيما لو كان ذلك الصديق داخلاً فيمن سخط الله عليهم فإن الإمام زين العابدين عليه السلام كان يوصي ولده الإمام الباقر عليه السلام أن لا يصاحب القاطع لرحمه حيث قال: (... إياك ومصاحبة القاطع لرحمه فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله عز وجل في ثلاثة مواضع..)[2] فلأجل أنه ملعون وداخل تحت غضب الله تعالى حذر الإمام عليه السلام من مصاحبته لأنه قد يُصيب المصاحب له ما يصيبه لرضاه عنه وأنسه به رغم معصيته لله تعالى.

الاختبار بعد الاختيار:

يمكن القول إن مرحلة اختبار الصديق بعد اختياره مرحلة مكملة للخطوات المتقدمة لأن بها يستطيع أن يعرف الصديق أكثر بل قد يقف على حقيقة ذاته وجوهرها لأن بالعشرة الدائمة والتماس به في أكثر المواقف يظهر له منه ما يمكن أن يكون قد أخفاه عنه فلا بد للشاب أن يراقب صديقه في تدينه وفي صلواته كيف محافظته عليها وفي صدقه ووفاءه ونحوها من الأمور التي يفترض توفرها بالصديق الصالح فإن وجدها فيه اتخذه صديقاً وإلا فليتركه، وهي وصية الإمام الصادق عليه السلام لنا حيث قال: (اختبروا إخوانكم

---

(١) الكافي، الكليني: ج٢، ص٦٠٤.

(٢) المصدر نفسه: ج٢، ص٦٠٥.

بخصلتين فإن كانتا فيهم وإلا فاعزب ثم اعزب ثم اعزب، محافظة على الصلوات في مواقيتها والبر بالاخوان في العسر واليسر)[١].

بالاحترام تدوم الصداقة:

كثيرة هي الصداقات بين الناس لكن ما أقلها التي تدوم بينهم، ولو فتشنا عن عناصر الدوام فيها لوجدنا أن من أبرزها عنصر الاحترام المتبادل بين الاصدقاء ذلك العنصر الذي يشد من أواصر المحبة والانسجام بين الصديقين، فلابد أن يتنبه الشاب لهذه المسألة ولا يسمح لنفسه لأجل قوة علاقته بصديقه أن ترفع الحواجز اتجاهه، فلا يسيء الأدب معه ولا يتجاوز عليه بما لا يليق به من قول أو فعل بل يجب أن يكن له الاحترام على الدوام ويوقره في المجالس الخاصة والعامة، فعن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: (لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك ابقِ منها فإن ذهابها ذهاب الحياء)[٢].

(١) الكافي، الكليني: ج٢، ص٦٤٠.

(٢) المصدر نفسه: ج٢، ص٦٣٩.

ثالثاً:

الشاب المسلم وتحديات العولمة الثقافية

إن من العقبات التي تواجه الإنسان المؤمن وخصوصاً الشاب والتي تقف عائقاً أمام حركة تقدمه نحو طريق الاستقامة والاتزان والفضيلة هي ما ذكره الإمام زين العابدين عليه السلام في مناجاته المعروفة بمناجاة الشاكين حيث إنه سلام الله عليه شكى إلى الله تعالى أربعة أمور يرى أنها تقف حائلاً أمام تقرب العبد إلى الله تعالى وتمنعه من امتثال أوامره، وهذه الأربعة هي: النفس الأمارة، والشيطان، وقسوة القلب والعين التي تطمح إلى ما يسرها وتمتنع عن ما ينفعها[1]، إذن أمام الإنسان وخصوصاً الشاب جملة من التحديات التي تواجهه في طريق تكامله، ومن الأساليب الشيطانية التي تواجه جماعة الشباب في الوقت الحاضر وتنفذ اليهم بكل سلاسة وخفاء بحيث لا يشعر بها المجتمع حتى تستمكن منه وتحكم قبضتها عليه حالها حال المرض الخبيث «العولمة» بمفهومها الثقافي والتي يزيد من قوة تأثيرها واستحكامها انضمام الأمور الثلاثة الأخرى، النفس الأمارة، وقسوة القلب، وطموح العين إلى ما يسرها التي هي عند الشاب أقوى مما عند غيره.

والعولمة وإن لم تكن معالمها محددة بشكل دقيق عند الباحثين لاختلاف وجهات النظر فيها إلا أنه «يمكن الاقتراب من صياغة تعريف شامل لها من

---

(١) راجع الصحيفة السجادية: ص١٩٦، دار المتقين، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ.

خلال ملاحظة ثلاث عمليات أساسية، هذه العمليات تكشف عن جوهر العولمة وهي:

١- أنها تتعلق بانتشار المعلومات بحيث تصبح مشاعة وفي متناول الجميع.

٢- وتتعلق بتذويب الحدود بين الدول.

٣- وتتعلق بزيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات[١].

ومن الطبيعي أن مجتمعاتنا المسلمة التي تقوم على أسس وضوابط دينية سماوية ثابتة تكون أكثر المتضررين من العولمة، ولا نريد من حديثنا هذا العولمة بمفهومها العام الشامل للاقتصاد والسياسة والمعارف والعلوم التي تنفع المجتمعات الإنسانية لأنها بمعناها العام تعني: «حركة السلع والخدمات والأيدي العاملة ورأس المال والمعلومات عبر الحدود الوطنية والأقليمية»[٢] لأن هذه قد تكون سلبية على مجتمع وإيجابية على آخر، بل نعني خصوص ما تتسبب في طمس الهوية الدينية للفرد المسلم من خلال بث ونشر الأفكار الفاسدة وإشاعة عنصر الفساد من خلال توفير أسبابه بحيث تكون في متناول يد كل شاب مسلم وللأسف صار الشاب في الوقت الحاضر أسير الاغراءات التي تقدم إليه بعناوين خداعة كالتحضر والتحرر والتعرف على العالم من حولنا وما إلى ذلك، وإن وسائل الاتصال الحديثة هي التي تؤمن لك كل هذا، فلذلك نرى أنه لا شغل للشباب في هذا الزمان إلا الحديث عن الانترنيت والحاسوب والهواتف الذكية فتراه

---

(١) راجع، العولمة بين التصورات الإسلامية والغربية، السيد حسن بحر العلوم، منشورات دار الزهراء.

(٢) المصدر نفسه: ص٣٢.

يقضي أكثر وقته معها، ولو أجرينا احصائية الآن لمستخدمي الحاسوب مثلاً أو لمشتركي الانترنيت فإننا لا نجد من يستخدم هذه الأمور بشكل فعلي وواقعي بحيث يحصل من وراءه فائدة إلا نسبة قليلة جداً، والأكثر لا تجد له غاية ذات مصلحة فعلية بل هو مجرد استنزاف للطاقات الشبابية التي تذهب نتيجة هدر الوقت، ومجرد إحراق للأموال من دون فائدة والتي لو سخّرت -بملاحظة مجموعها- في جانب من جوانب الاقتصاد مثلاً لأثرت أثراً بارزاً، أضف إلى أن هذا يعدّ من مصاديق التبذير المنهي عنه في الشريعة المقدسة فإذن هذا التصرف هو مخالفة في ضمنها مخالفة أو مخالفات بعضها شرعية وبعضها عقلية.

قد يقول الشاب أنا لا أتأثر بما أشاهده من الصور والمقاطع المبتذلة التي تبث على الشبكات ووسائل الاتصال التي لا تقتضيها العادة المتعارفة في العرض، لكن هذا لو لم يكن أصل النظر إليها محرماً ابتدءً مع انه من الصعب إحراز عدم التأثر خاصة وأن الشاب كتلة هائلة من الغرائز أشبه بالوقود الذي يلتهب بأدنى مماسة حرارية، وهذه الصور والمقاطع المبتذلة كالصاعقة التي تؤثر أثرها عأجلاً أم آجلاً في نفسية وتصرفات الشاب فلابدّ للشاب المسلم من أن يحذر من شراك الشيطان، شيطان الجن والانس ولا يهلك نفسه بهذه الأفعال وكذلك فليحذر من أن لا يتسبب في فساد الأجيال المستقبلية القادمة؛ لأن كل شاب سوف يأتي عليه يوم يكون ربَّ أسرة وهذه الأسرة جزء من مجتمع بل أساس كل مجتمع وصلاح كل بناء بصلاح أساسه، ثم إن المسؤولية واللوم لا يقعان على الشاب وحده بل الأسرة تتحمل القسط الأكبر منها خصوصاً إذا كان الشاب في بداية شبابه ولا يستطيع التمييز بين ما هو صحيح وفاسد فلا يترك الأولاد يفعلون ما

يحلو لهم أو يوفر لهم كل ما يريدون، أو يتركوا من دون مراقبة ومتابعة، ولعل بعض أخطاء الشباب تكون نتيجة إهمال الآباء والأمهات لهم وعدم استيعاب مسؤوليتهم الحقيقية اتجاه أولادهم، ويمكن القول إن علاج هذا الداء يحتاج إلى وقفة جادة ومسؤولة من كل فرد من أفراد المجتمع، كل حسب مقدرته وهذه الوقفة تدخل تحت عنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو واجب على كل مسلم ومسلمة ونعضدها بالاستعانة بالله تعالى لأنه خير عون لمن استعان به.

رابعاً:

الشباب والزواج

إن الإنسان منذ بداية مراحل إدراكه الأولى إلى نهاية عمره يعيش حالة التدرج نحو التكامل والارتقاء النفسي والروحي فتراه يحأول إتمام كل نقص لديه وتكميل كل جانب من شخصيته، فالإنسان بعد مرحلة البلوغ التي هي مرحلة الشباب يعيش في داخله فراغاً نفسياً ونزاعاً عاطفياً نتيجة الميل إلى الارتباط والاقتران لأنه يجد فيه كمالاً لنفسه واستقراراً لروحه بعد حالة عدم الاتزان والتلجلج التي تنتابه، ولكن من الأمور التي تواجه الشاب وتغلب عليه مسألة تحكم العواطف والهوى عليه أو ما يسمى بالحب بمعزل عن الفكر والعقل فنراه يقع نتيجة ذلك في الاختيار الخاطيء الذي يؤدي في النهاية إلى فشل العلاقة الزوجية، فقلب الشاب في صراع دائم مع عقله في مسألة الحب أو الهوى، والقلب يريد منه أن يغضي عن كل نقص ليبلغ مراده والعقل يمنعه ويحذره وربما تكون الغلبة للقلب عند بعض الشباب وفي هذا المعنى يقول القائل:

فكر العقل وقال ما تـــقول قال قلبي بل تشجع لا تحـــول
هذا أمرٌ غربت عنه العــقول وصدى العشق ينادي.. طال صبري

فإذن يفترض بالشاب بما أنه يبحث عن التكامل وبما أن الزواج أحد أسبابه أن يعطي لجانب العقل حصة كما يعطي لجانب القلب حصته ولا

يفرط في وأحد منهما لأن كليهما عاملان مهمان في مسألة الاختيار، فشرط توفر العقل واضح أما القلب والهوى فإن به أساس الانسجام ودوام الارتباط؛ إذ لابد من وجوده فمن وصية الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لأصحابه قوله: (خير الجواري ما كان لك فيها هوى وكان لها عقل وأدب فلست تحتاج إلى الأمر والنهي..)[١] بل ان المودة التي جعلها الله تعالى بين الزوجين كما جاء في كتابه الكريم ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾[٢] هي من آثار ونتائج الحب ونسبتها إلى الحب كنسبة الخضوع إلى الخشوع، فكما أن الخضوع هو مظهر من مظاهر الخشوع كذلك المودة هي مظهر من مظاهر الحب[٣].

والمسألة المهمة من كل هذا هي كيف يختار الشاب المرأة التي تشاركه بقية عمره وتصاحبه في ليله ونهاره وحله وترحاله ويبني معها بيتاً وينشيء أجيالاً مصيرهم من الصلاح وعدمه الاختيار الموفق وخير ما يمكن أن نقدمه للشاب من أمور تساعده على حسن الاختيار كلمات أهل بيت العصمة عليهم السلام في هذا الجانب التي هي دائماً كالبلسم للجرح تعطي أثرها لمن أخذ بها فنقول أن أهم الشروط التي يجب أن يراعيها الشاب في اختياره للمرأة هي:

أ- وهو أهمها أن تكون المرأة التي يريد اختيارها صالحة ذات دين ملتزمة بأحكام الشرع الحنيف والتي من أبرزها الحجاب بقسميه المادي والمعنوي فإن من أهم أسباب سعادة الشاب المرأة الصالحة ويدل على ذلك

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٢٠، ص٢٧.

(٢) سورة الروم: آية٢١.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ج ١٦، ص٤١٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ٢٠٠٦م.

قول النبي صلى الله عليه وآله: (من سعادة المرء الزوجة الصالحة)[١].

ب- أن لا يقْصُر النظر على جمالها وذاتها وحسب ويترك النظر في حال عائلتها لأن عائلة المرأة لها الأثر في تغير بيت الرجل حالاً ومستقبلاً، أما حالاً فلأجل تأثر البنت بأخلاق أهلها سلباً أو ايجاباً أو وقوعها تحت ضغط تأثيرهم هذا فيما إذا كان حجم التأثير عليه كبيراً، ولعله لهذا وغيره نهى النبي صلى الله عليه وآله من الزواج بهكذا مرأة حيث قال: (إياكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء)[٢].

جـ- أن تكون المرأة ذات عقل وأدب فإنّ هاتين الصفتين إذا وجدتا فيها قللتا من المشاكل التي يمكن أن تقع بينهما لأن المرأة العأقلة المؤدبة هي التي تعرف كيف تتعامل مع زوجها لأنها تضع الأشياء في موضعها فلا يحتاج الرجل معها كما يقول الإمام الكاظم عليه السلام في الحديث المتقدم إلى الأمر والنهي.

ءـ أن يكون الشاب محباً للمرأة التي يريد الزواج منها راغباً فيها غير مكره عليها أو متأثر في اختيارها ببعض العادات والأعراف الاجتماعية فإن الحب أساس دوام العلاقة الزوجية كما تقدم بيانه.

هـ- أن تتحلى المرأة بالأخلاق النفسية الحسنة من اللين وخفض الجناح وعدم الغضب فإن هذه الأمور وغيرها تساعد على بناء بيت تسوده المحبة والحنان والاستقرار، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (خير نسائكم الخمس، قيل: وما الخمس؟ قال: الهينة اللينة المؤاتية التي إذا غضب زوجها لم تكتحل بغمض حتى يرضى وإذا غاب عنها زوجها حفظته في غيبته، فتلك عامل من عمّال الله وعامل الله لا يخيب)[٣].

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٢٠، ص٤٠.

(٢) المصدر نفسه: ج٢٠، ص٣٥.

(٣) المصدر نفسه: ج٢٠، ص٢٩.

أفضل الستر الزواج:

قد يتصور الشاب أن إنشاء علاقات مع بعض الفتيات خارج نطاق الزواج بأي شكل كانت يمكن ان يسد حاجته الجسدية والروحية ويمكن أن يوفر له الاستقرار إلا أن هذا توهم نتيجته عدة أسباب:

١- الجهل بحقيقة الزواج وحقيقة غيره من العلاقات المرفوضة شرعاً.

٢- إطلاق العنان للقوى الغريزية وعدم محأولة كبحها وتهذيبها بما يناسبها.

٣- غياب الوازع الديني الذي ينظم له هذه القوى ويحدد له كيفية استخدامها.

فإن القرآن الكريم حينما تحدث عن علاقة الرجل والمرأة وصفهما بوصف رائع وجميل وبيّن بأسلوب الاستعارة حقيقة وجوهر هذه العلاقة المقدسة حيث قال: ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾[١]، فكما أن لباس الإنسان يستره من الآخرين ويقيه من كل شيء وكذلك يكون زينة له كذلك كل من الرجل والمرأة كل وأحد منهما يستر الآخر ويمنعه من الوقوع في الحرام ويكون زينة له إذن لا قيمة ولا شرعية لأي علاقة الا علاقة الزواج، ولو أدعي ان بعض العلاقات نزيهة ولا يشوبها الشك والريب أو الوقوع في الحرام قلنا إن كانت في طريقها إلى الزواج فالنتيجة حسنة وإلا فالابتعاد عنها أسلم لأنه لا عنوان تنطوي تحته فيكون محللاً لها، فلا تختر أيها الشاب ولا تحب إلا ما أحبه الله لك وهو الزواج.

قال الإمام الباقر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله عز وجل من التزويج)[٢].

---

(١) سورة البقرة: آية ١٨٧.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٢٠، ص١٤.

خامساً:

المؤمن كفؤ المؤمنة

الاقتران بين الرجل والمرأة علاقة اقتضتها طبيعة الرجل والمرأة المادية والمعنوية فكل وأحد منهما لديه ما يكمل الآخر ويسد النقص الذي لديه، ولهذه العلاقة أهمية عظيمة فهي فضلاً عن كونها ساهمت وتساهم في حفظ النوع الإنساني فهي لها الدور الأساسي في ترابط وانسجام المجتمعات البشرية باعتبارها النواة الأساسية لكل مجتمع فلابدّ من الاهتمام بالأسباب التي من شأنها أن تساعد على إيجاد هذه العلاقة ومحأولة توفير المناخ والأرضية التي تساعد على عطاءها وقد حأول الإسلام جاهداً القضاء على الرواسب الخاطئة التي توارثتها المجتمعات من الحضارات القديمة اتجاه هذا النوع من العلاقات ومحأولة تهذيبها وإن كانت مهمة ليست بالسهلة خاصة وإن مجتمع الجزيرة العربية –الذي كانت منه بداية انطلاق الرسالة المحمدية– مجتمع قائم على العصبية القبلية الذي كان ينظر إلى المرأة نظرة المملوكة التي يتصرف فيها كيف يشاء، ومن المسائل التي سلّط الإسلام الضوء عليها في خصوص هذا الجانب تحديد مبدأ التكافؤ بين الرجل والمرأة فإنه لما كانت المجتمعات في ذلك الوقت قائمة على أساس التفاوت في الطبقات الاجتماعية وتميز فئة على أخرى باعتبارات مختلفة كالمال والجاه والسلطة كان من الصعب على الشاب من أصحاب الطبقة العادية أن يتقدم لخطبة من هي أعلى منه طبقة

لامتناع أهلها، وفي بعض الأحيان يصل هذا الامتناع إلى حد أن تبقى البنت من دون زواج إلى آخر عمرها الا أن الإسلام كسر هذه القيود وأبطل كل هذه الأعراف الفاسدة برفعه مبدأ التكافؤ الذي يقول: المؤمن كفؤ المؤمنة، فالمال والجاه والسلطة أمور لا اعتبار بها في نظر الشارع في قبال الإيمان الذي هو المقياس الذي على أساسه يقارن بين الرجل والمرأة ثم إن النبي صلى الله عليه وآله أخذ يطبق هذا القانون عملياً بين المسلمين، والروايات التي تشير إلى هذه كثيرة نقتصر على ذكر بعضها ولعل من أشهرها قصة جويبر الذي تذكر الرواية عنه انه كان قصيراً دميماً محتاجاً عارياً أسود: حيث رقّ له النبي صلى الله عليه وآله فأمره أن يذهب لخطبة الدلفاء بنت زياد بن لبيد، الذي كان من أشرف بني بياضة حسباً فزوجه إياها بعد ما رجع إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال له: يا زياد جويبر مؤمن والمؤمن كفؤ المؤمنة والمسلم كفؤ المسلمة فزوجه يا زياد ولا ترغب عنه[1] بل أن النبي صلى الله عليه وآله لم يفرق بين نفسه الشريفة وبين أبسط الناس من المؤمنين وهو حلبيب الذي جعله عديلاً له، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: أتى رجل النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله عندي مهيرة العرب وأنا أحب أن تقبلها وهي ابنتي قال: فقال قد قبلتها، قال: وأخرى يا رسول الله قال وما هي؟ قال: لم يضرب عليها صدع قط، قال: لا حاجة لي فيها ولكن زوجها من حلبيب قال فسقط رِجْلا الرجل مما دخله ثم أتى أمها فأخبرها الخبر فدخلها مثل ما دخله فسمعت الجارية مقالته ورأت ما دخل أباها فقالت لهما: أرضيا ما رضي الله ورسوله لي، قال: فتسلى ذلك عنهما وأتى أبوها النبي صلى الله عليه وآله وأخبره الخبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله قد جعلت مهرها الجنة..)[2].

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٢٠، ص ٦٨.

(٢) المصدر نفسه: ج٢٠، ص ٦٩.

ولكن رغم أن الإسلام استطاع أن يطفيء نار الأعراف والعادات الجأهلية التي تتقاطع مع الأحكام الإلهية سواء في هذا الجانب أو غيره إلا ان بقيت هناك بعض الجمار المستترة بالرماد تتوقد في نفوس البعض ممن لم يستوعب الفكر الإسلامي بشكل سليم فنرى في الوقت الحاضر الكثير من النساء بلا زواج نتيجة لهذه الاعتبارات التي تقف عائقاً أمام الفتاة غير ملتفتين إلى النتائج السلبية التي تترتب على منع الفتاة من الزواج ولعل من أوضح النتائج المترتبة على هذا المنع هي:

١- الإعانة على الفساد وإشاعته، فإن المرأة بأصل الخلقة تمتلك أضعاف ما يمتلك الرجل من الغريزة حسب تقارير علماء الطب بل وظاهر أحاديث أهل البيت عليهم السلام[١] فإذا لم توظف هذه الغريزة في الطرق المشروعة لا يأمن عليها من اتخاذ بعض الطرق الخاطئة فإن النبي صلى الله عليه وآله يقول: (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)[٢]. بل يفترض بالإنسان المؤمن أن يفرح إذا جاءه خاطب لابنته يتحلى بالأخلاق والتدين لأنه سوف يضرب على عورته سوراً آمناً فإن الإمام زين العابدين عليه السلام كان (إذا أتاه ختنه على ابنته أو على اخته بسط له رداءه ثم أجلسه ثم يقول: مرحباً بمن كفى المؤنة وستر العورة)[٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: (من سعادة المرأ ان لا تطمث ابنته في بيته)[٤].

(١) عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام، يقول: (فضّلت المرأة على الرجل بتسعة وتسعين من اللذة ولكن الله عز وجل ألقى عليها الحياء) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٢٠، ص١٠٩.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٢٠، ص٧٦.

(٣) المصدر نفسه: ج٢٠، ص٦٥.

(٤) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٢٠، ص٦١.

٢- أصابة المرأة نتيجة كبت الغرائز والميول بجملة من الأمراض النفسية والعصبية ويذهب علماء النفس إلى أن جذور الأمراض النفسية تعود الى الشعور بالحرمان وبالأخص في دائرة الأمور الغريزية، والزواج كما يؤمن الجانب المادي لكلا الزوجين يؤمن الجانب المعنوي من الاستقرار النفسي والشعور بالأمان والود والحنان الذي لا تستطيع تأمينه أي علاقة أخرى غير علاقة الزوجية حتى علاقة الأمومة والأبوة ولعل قول الله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾[1] كما يشير إلى أن هذا الجعل فيه فائدة بقاء النوع كذلك فيه فائدة الحفاظ على التوازن والاستقرار والترابط بين الزوجين.

٣- تولد بعض الصفات غير المحببة لدى المرأة اتجاه الآخرين من قبيل الحسد والغيرة التي هي أيضاً من نتائج الشعور بالحرمان بل عند بعض النساء تصل إلى حد العدوانية.

٤- قد يتسبب في ظهور حالة من الحقد والكراهية اتجاه الأب قد تصل إلى حد العقوق لأنها تنظر إلى أنه هو السبب في حرمانها من أحلى سُنّة شَرّعها الله تعالى وبالتالي حرمانها من الأمور المترتبة عليها كالأمومة التي هي حلم كل امرأة.

هذه جملة من النتائج والآثار الدنيوية المترتبة على منع الفتاة من الزواج وأما الآثار الأخروية فإن من المقطوع به بالوجدان أن الله تعالى لا يرضى بسلب حقوق البنت والتي منها حق الزواج فاحراز الأمن من عذابه سبحانه صعب خاصة إذا لم تكن البنت راضية على أبيها فإذن منع البنت من الزواج ليس بالأمر السهل والهيّن، وآثاره تلاحق صاحبه إلى قبره.

---

(١) سورة الروم: آية ٢١.

سادساً:

عاشوراء ملهمة الشباب

عاشوراء حادثة وقعت في زمان يفترض أنه قد مضى إلا أنها صاحبت الزمان، ووقعت في مكان يقال له كربلاء إلا أنها تجاوزت حدود المكان، عاشوراء قضية الاحرار التي استُلهم من مبادئها الأفكار واقتبس من ضياءها الأنوار، وهي الأمّ التي انجبت كل الثورات وغذتها من عطاء رجالاتها الأبرار، عاشوراء كانت وما زالت تعطينا من دون ملل، وتقدم لنا من الدروس والعبر ما نحتاج لتحسين العمل فهل يا ترى أحسنّا إليها كما أحسنت، وبَرَرْنَا بها كما برّت، ورعيناها بوصلنا كما حنّت وربّت، فإن عاشوراء تريد منا كما أعطتنا لكنها لا تريد لها بل تريد لنا، تريد منا ان لا ننسى الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، ولا ننسى الدروس التي قدموها لنا، وتريد منا أن لا ننسى الدماء التي سالت على ارض كربلاء، وأن نعلم لماذا سالت ومن أجل من.

فإذن لابد أن نفهم أن إحياء ذكرى عاشوراء هو تخليد ورفع للمبادئ والقيم التي حملها الإمام الحسين عليه السلام وأشاد بنيانها، وقد أدى الماضون من الآباء والأجداد قسطاً كبيراً من حق هذه المهمة التي ألقيت على عاتق المؤمنين وما علينا إلا إكمال هذه المسيرة التي هي شرف لمن تقلدها، وهي وإن كانت مهمة كل المؤمنين إلا أنها من قبل الشباب أجدر وآكد كلٌ حسب

الدور الذي يمكن أن يشغله في هذه المهمة العظيمة لأن مسألة الأحياء لها جوانب متعددة مثل التعريف بها من خلال قول الشعر، أو إنشاده، أو تسخير القلم بالكتابة عنها ونشر معالمها في أي نافذة من نوافذ الكتابة، أو إقامة المجالس المتعارفة والتي صار قوامها الوعظ والإرشاد وبيان الأحكام الإلهية إلى جانب طرح مصائبهم صلوات الله عليهم، ولعله هذه أوضح مصاديق الأحياء لهذه القضية وأبرزها والتي تتميز بميزة العمل الجماعي من قبل المؤمنين فهي تحتاج إلى إعداد مشترك للمجلس ولعل بعض الأمور التي يحتاجها الاعداد متوقف تحققها على شريحة الشباب المؤمن، إذن قد أُلقي على عاتق الشباب من أجل إحياء القضية الحسينية مهام وأدوار عديدة بعضها يحتاج للفكر واللسان وبعضها للقوة والنشاط فلا بد للشاب المؤمن من استيعاب هذه المهمة وتقبلها بكل فخر واعتزاز لأنها وسام الشرف الذي يفخر به في الدنيا والآخرة.

وليستحضر الشاب المؤمن دائماً الهدف السامي الذي دفعه لهذه الخدمة لأن هذه الخدمة هي امتداد لثورة الإمام الحسين عليه السلام وهي حفظ ونشر لمبادئها، وليعلم أن كوكبة الشباب الذين استشهدوا بين يدي الإمام الحسين عليه السلام من أهل بيته وأصحابه رغم صغر سن بعضهم كانوا يعلمون حجم قضية الإمام الحسين عليه السلام وأبعادها وأنها قضية إحياء للدين وتطبيق لتعاليمه، وهي ثورة ضد الظلم والاضطهاد وضد الفسق والانحلال، فهم يعلمون بمقام إمامهم الإلهي فبذلوا له مهج النفوس فهم بحق كانوا على مستوى عالٍ من الوعي والإدراك مما جعلهم يفوزون بهذه المنازل العظيمة فلابد للشاب أن يضع دائماً أمام عينيه صور ومواقف هذه الكوكبة العظيمة من الشباب كعلي الأكبر صاحب المقولة الرائعة التي قالها لأبيه الإمام الحسين عليه السلام

بعد حديث جرى بينهما: (يا أبي أو لسنا على الحق، قال: بلى والذي إليه مرجع العباد. قال: إذن لا نبالي أن نموت محقين)[١]. وموقف القاسم ابن الإمام الحسن السبط عليه السلام هذا الذي كان في مقتبل شبابه إلا أنه فاق الكهول في وعيه وبصيرته، وموقف الشاب سعيد بن مرة التميمي ذلك الأنصاري العظيم والذي كان من أهل البصرة فقد كان جديد عهد بعرسٍ فترك عروسه في البصرة والتحق بركب العشق والولاء ركب سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام تاركاً الدنيا وزخارفها وراء ظهره وفاتحاً ذراعيه للخلود حتى أنه رضوان الله عليه حينما أراد التجهز للخروج لم يدخل إلى داره ليأخذ سيفه وفرسه بل طلب من أمّه أن تحضرهما له مخافة أن تقع عينه على زوجته وداره وأثاثه فتُفل عزيمته وتغريه حلاوة أسباب البقاء، فإذن لابد لكل شاب أن يؤدي دوره في هذه القضية ويكمل ما بدأته هذه الكوكبة من الشباب، ويجدَّ في تقديم كل ما يستطيع من أجل إبقاء هذه الشعيرة ذات العطاء السامي فيكون قدوة ومثالاً لأبناءه والأجيال اللاحقة إن شاء الله تعالى.

الحشد الشعبي ثمرة شعيرة عاشوراء

إن من الأمور التي أصبحت واضحة وجلية لدى الكل، أن شعيرة عاشوراء كان وما زال لها الدور الأبرز في توعية الشباب وتثقيفهم اتجاه القضايا المصيرية التي تواجه الدين والأمة الإسلامية، ولها الدور الأكبر في تعبئتهم وتحشيدهم للوقوف بوجه المخاطر التي تعصف بالأمة الإسلامية فإنه بعد فتوى المرجعية العليا في النجف الأشرف بالجهاد ضد أعداء الدين نلاحظ أن شباب الحشد الشعبي رسموا – في المعارك التي يخوضونها ضد

(١) لواعج الاشجان، السيد محسن الأمين: ص٩٨.

المجاميع الارهابية التي هي آلات أعداء الدين- صوراً مستوحاة من صور كربلاء فقد طَبّقوا الدروس التي طالما تعلموها من كربلاء ومواقف كربلاء تلك الدروس التي رسمها لهم سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه صلوات الله عليهم، ولو أردنا أن نتحدث عن مواقف وبطولات الشباب من أبناء الحشد الشعبي لطال بنا المقام لأنها كثيرة ومتنوعة وقريبة إلى حدٍّ كبير من مواقف أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء.

لقد نقل لي أحد المجاهدين عن موقف لشاب في ساحة المعركة شاهده بعينه، يقول: أصيب أحد الشباب المجاهدين أثناء المواجهة مع الأعداء بجروح بليغة وهو مع ذلك قابض على بندقيته يقاتل ولما رأى رفاقه حالته أرادوا أن يأخذوا منه السلاح ويحملوه فلم يرضَ بذلك وظل يواصل القتال وهو على هذه الحالة، ويروى أن أحد الشباب ترك عروسه والتحق بجبهات القتال ولم يمضِ على زواجه الا ثلاثة أيام، وآخر يتصل به أبوه هاتفياً ويقول له ولدي لا تنسحب من المعركة فإني لا أرضى عنك إذا انسحبت وتركت القتال هذه هي آثار الدروس التي تلقاها شبابنا في مدرسة الشعائر الحسينية وحري بباقي الشباب أن يفخروا بهؤلاء الأبطال ويستفيدوا من مواقفهم البطولية النابعة عن صدق الإيمان والعقيدة والولاء للدين والمرجعية الدينية نسأل الله تعالى أن يُثبّت أقدامهم ويسدد رميتهم ويملأ قلوبهم حباً للدين ويرزقهم النصر المبين إنه سميع الدعاء.

سابعاً:

الشباب المسلم وشراك المضلين

إن المعتقدات الدينية والمتبنيات الفكرية مهما كانت مقدسة في نظر أصحابها وراسخة في قلوبهم إلا أنه يمكن لبعض الأشخاص زعزعة الإيمان بها بحيث يؤدي إلى التشكيك بها وذلك من خلال الاحتيال على أصحابها برسم صورةٍ للتناقضات وإيهام وجود للثغرات في ذلك الدين أو الفكر مما يؤدي في النهاية إلى أنحرافهم عن معتقداتهم ونبذهم لمتبنياتهم وهذا ما وقع به أصحاب الديانات السماوية السابقة على الإسلام من اليهودية والنصرانية، فإن دين اليهود والنصارى مرَّ بمحأولات عديدة ومتعاقبة من أجل محوهما أو تهوينهما في نظر المعتنقين لهما مما جعلتهما مجرد شكل وصورة فارغة المحتوى في نظر أصحابها فتحول الدين لديهم من دين الأحكام والأوامر الإلهية الذي يعالج كل صغيرة وكبيرة في حياتهم إلى دين يقوم على بعض الطقوس الشكلية التي لا تكشف إلا عن مجرد الانتماء وهذه النتيجة لم تكن وليدة يوم وليلة أو نتيجة تأثير شخص أو شخصين بل هي نتيجة مرّت بعقود متعاقبة ومن قبل أشخاص كُثر لهم غايات وأهداف مختلفة من شخص لأخر وبمثل هذه الأساليب بدأ البعض يخطط للإسلام من أجل زعزعة المسلمين عن معتقداتهم ومبادئهم التي هم عليها، ومن الطبيعي أن هذا البعض لا يأتي إلى أصحاب هذا الكيان العظيم من أي مكان أو أي

جانب كان وإنما يأتيه من الجانب اللين والسلس ومنه ينفذ إلى الكل، وبما أن شريحة الشباب هم أكثر تأثّراً وقابلية لتقبل الأفكار –باعتبارهم ورقة بيضاء يمكن ترويضهم من دون تكلف وعناء– عمدوا إلى هذه الشريحة التي تمثل جزء من هذا الكيان لتحقيق غاياتهم.

طريق صنع الشخصية:

وقبل أن نتكلم عن الأساليب التي يتبعونها في صرف الشباب عن دين الإسلام لا بأس أن نشير إلى بعض الطرق الخبيثة التي كانوا يسلكونها للنفوذ إلى عقول الشباب أي الوسيلة التي تنقل أفكارهم إلى الشاب المسلم ومن هذه الطرق «طريق صنع الشخصية» والمراد بذلك أنهم يعمدون إلى إيجاد شخصية مسلمة وربما تكون من الأوساط الدينية تكون مؤهلة للإنخداع أو التعاون معهم لأن الفخ كلما كان أقرب إلى لون المحيط كان أنجح في الاصطياد، ثم يحأولون أن يجعلوا لها منزلة ومكانة عظيمة ويدعمونها بكل الوسائل التي تمكنها من نشر ما يريدون ثم من خلالها يستطيعون أن يتوأصلوا مع الشباب المسلم، وإن المتتبع لحال هؤلاء يجدهم: بين منخدع لا يعي ما يقوم به، وبين من سحره الجاه والمال الذي أحيط به من كل جانب، وبين من توهم أنه مسلوب الحقوق وأن استحقاقه أكبر ما هو عليه فنقم على المحيط الذي يعيش معه فصار يصب غضبه على الدين.

أما في خصوص الأساليب التي يتبعها هذا البعض من أجل زعزعة إيمان الشاب المسلم بدينه فيمكن تقسيمها إلى قسمين: قسم ينال ثوابت الدين الإسلامي أو قل أساسيات الدين من المعاد، والقرآن، والنبوة والإمامة وقسم ينال الأحكام والتعاليم التي فرضها الله تعالى على المكلفين

وسنحاول أن نمر على بعضها إجمالاً.

الثواب والعقاب وعلاقتهما بالعدل الإلهي:

إن قانون الثواب والعقاب أصبح أمراً بديهياً لكل مُشرِّع ومُنظِّر فلا تجد حكومة ما مهما كانت توجهاتها الدينية والفكرية إلا وفي دستورها هذا القانون وما ذلك إلا لأجل المحافظة على النظام وإنهاء الفوضى فإن هذا القانون قد تسالم عليه جميع العقلاء في كل العصور وفي جميع بقاع العالم وهو لا يشذ عن العدل الذي هو ضدّ الظلم بل هو موافق للحكمة، ولما كانت الشرائع السماوية فيها أوامر ونواهي الهدف منها تنظيم حياة المجتمعات كان من الضروري أن يكون لهذا القانون دور بارز لأجل المحافظة على تحقيق الانضباط، ولو كان هناك أوامر ونواهي من دون وجود لهذا القانون أو من دون تفعيل له لتمادى العباد في امتثال ما يراد منهم إلا أننا نرى البعض ينكر ان يكون هناك عقاب أخروي على مخالفة الأوامر بحجة ان هذا خلاف العدل الإلهي وقد يتسائل شخصٌ عن الغاية التي لأجلها أنكر هذا البعض العقاب الأخروي وعن دليله في ذلك فنقول له: إن الغاية إن كانت تنزيه الله تعالى عما ينقصه فهي مردودة بما انتهينا إليه من أن هذا القانون تسالم عليه كل العقلاء والله سبحانه وتعالى سيدهم بل إن آياته صرحت بثبوت ذلك في كتابه العزيز ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[1]، وقوله: ﴿**وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**﴾[2]. فإذن هذا القانون

(١) سورة البقرة: آية ٨١.

(٢) سورة المؤمنون: آية ١٠٣.

ليس خلاف العدل.

وإن كانت الغاية من ذلك العباد فكل العقلاء مطبقون على أن القول بإنكار العقاب يعطي الدافع لارتكاب المحرمات ومخالفة القوانين فإذن الإنكار يضرهم ولا ينفعهم، بل لا كلام أنه لا غاية تذكر وراء هذا الإنكار والقول به إلا إفساد الشباب وإلقائهم في مزالق الشيطان، ثم إنهم لم يذكروا دليلاً لهذه الدعوة سوى نفس الدعوة التي هي: إن الوعد بالعقاب خلاف العدل، وقد انتهينا إلى أنه مطابق للعدل بل هو عين العدل لتسالم كل العقلاء على ذلك.

ديمومة إعجاز القرآن الكريم:

إن القارئ لآيات القرآن الكريم حتى لو كان من غير المسلمين بعد قراءته لا بد أن ينتهي إلى أن هذا الكتاب هو كتاب هداية وتربية وهو يعالج أكثر القضايا التي تخص المجتمع سواء على مستوى الفرد أو الجماعة وبما أن القرآن الكريم لا يكاد يخلو منه منزل من منازل المسلمين وهو يتلى في كل آنٍ في المساجد والمحافل فهو دائماً مصاحب للإنسان المؤمن وآياته درع أمينة لكل مسلم عن ان ينزلق في مهاوي الشيطان كل هذا جعل أعداء الإسلام يفكرون في توهينه في أعين المسلمين فأتعبوا أنفسهم في إيجاد كذبة يمكن أن تنطلي على شبابنا ليُسقطوا القرآن الكريم من أعينهم وحرصوا على أن تكون ماكرة، فهم لم يقولوا مثلاً أنه ليس كتاب هداية، لأن هذا مدفوع بأدنى تأمل في آياته، ولم يقولوا إن ما فيه كذب لأن هذا يكذبه حتى غير المسلمين لتواتر أكثر القصص والأحداث التي جاء ذكرها في القرآن، وإنما قالوا إنه ليس بمعجز لعلمهم أن أكثر الشباب لا يعلمون كنه الإعجاز القرآني

لأن معرفته تحتاج إلى العلم بأساليب العربية من النحو والصرف والبلاغة فأخذوا يصورون لهم أنه يمكن لكل إنسان عربي أن يأتي بمثل القرآن وان هناك بعض آياته ليس فيها مواطن بلاغة إذا ما قورنت ببعض الكلام العربي ومدعين أن بعض آياته واضحة المعنى لا تحتاج في فهمها إلى تأمل، والحقيقة أن ردّ مثل هذه الأكاذيب يحتاج إلى بيان مبادئ وأساليب البلاغة العربية وفي ذلك يقول الشيخ محمد جواد البلاغي في مقدمة تفسير مجمع البيان: «لا يخفى أن القرآن الكريم مبنى على أرقى أنحاء البلاغة العربية وتفننها بمحاسن المجاز والاستعارة والكناية.. ولكن بعد اشتراك الأمم في بركة الإسلام وامتلاء جزيرة العرب من الأمم وتفرق العرب بالتجنيد في غير البلاد العربية تغير أسلوب الكلام العربي في عامة الناس وتَبدّلت مزايا الكلام وأساليب المحاورات فعاد ذلك المأنوس غريباً في العامة وذلك الطبيعي الغريزي يحتاج في معرفته إلى ممارسة التطبع وكلفة التعلم والتدرب في اللغة العربية وأدبها على النهج السوي»[١].

ثم إن الفصاحة كما يوصف بها الكلام فنقول كلام فصيح كذلك توصف بها الكلمة فتقول كلمة فصيحة، ثم إن البلاغة معرفتها متوقفة على معرفة الفصاحة لكونها مأخوذة في تعريفها ولكل منها شروط تخصه ذكرها علماء البلاغة في مصنفاتهم[٢] فإذا كانت بعض آياته واضحة المعنى وسهلة على اللسان فهذا أدل دليل على بلاغتها لأنها ليست بالفاظ وحشية ولا غريبة ولا حروفها متقاربة المخارج حتى تكون صعبة النطق فإذن سهولتها وشدة وضوحها من الخصائص البلاغية التي يوصف بها الكلام وحتى لا

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ج١، ص٣٨.

(٢) راجع شرح المختصر، التفتازاني: ١٨.

نذهب بعيداً نقول ان القرآن الكريم كان معجزة النبي ﷺ ويبقى كذلك ما دام للقارئه معرفة بأساليب العرب في الكلام بل إن القرآن وأساليبه البلاغية هو المادة العلمية في الجامعات والمعاهد العلمية والكل يسلم أنه في المرتبة العليا في البلاغة حتى غير المسلمين فإذن لا بد لشبابنا أن يلتفتوا لمثل هذه الخدعة ويعلموا حجم الخطر الذي تسببه على دينهم ومعتقداتهم.

ثامناً:

وما محمد إلا رسول

إن الذي يؤمن بالله تعالى وبأنه حكيم عادل لابد أن ينتهي إلى أن الله تعالى لا يترك عباده من دون أن ينصّب عليهم من يرشدهم إلى أوامره ونواهيه من باب اللطف بعباده حتى لا تفوتهم المصلحة ولا يقعوا في المفسدة، لأجل ذلك نصّب سبحانه لهذه المهمة أشخاصاً وجد فيهم الأهلية والاستعداد لتحمّل هذه المسؤولية وجعل بينه وبينهم وسائطاً من خلالها يتوصلون إلى مراده سبحانه، ومن أوضح هذه الوسائط هي الوحي عن طريق جبرائيل عليه السلام وهي واسطة اشترك بها أكثر الأنبياء عليهم السلام وبالخصوص أولي العزم وأبرزهم نبينا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وهذا الأمر لا يختلف عليه اثنان إلى زمان بدأت تظهر بعض الأصوات الحق تنادي بخلاف هذه الحقيقة مدعين أن ما كان يصدر عن النبي من تعاليم وأحكام هو نتيجة إيمانه القوي بالله تعالى وحبّه الشديد له، وإن ما كان يتلوه من القرآن الكريم بما فيه من قصص وأحداث هو نتيجة ما كان يقرأه من الكتب السماوية السابقة كالتوراة والأنجيل.

وفي مقام الرد على هذا نقول: إن هذه مجرد دعوى بلا دليل ولو كان ثمة دليل فلا يعدو القرآن والعقل، فإن استدل بالقرآن فقد ثبت مطلوبنا وهو أن القرآن الكريم كلام الله تعالى جاء به النبي صلى الله عليه وآله عن طريق الوحي الإلهي ولو لم يكن كذلك لما جاز أن يجعله الخصم دليلاً.

وإن كان دليلهم العقل فهو واضح البطلان لأن مجيء القرآن عن طريق الوحي ليس من الأمور المستحيلة حتى تنفى بضرورة العقل، بل هو من الأمور الممكنة ووقوعها لا يستلزم أي محذور، على أنه يكفينا التواتر في خصوص هذه المسألة بل أصبحت من الضروريات. وأما في خصوص جزء الدعوى الثاني وهو أنه ﷺ تعلم ما جاء في التوراة والأنجيل ثم سطره في القرآن الكريم فهي دعوى عارية عن الصحة أيضاً ومفتقرة إلى دليل بل الدليل على خلافها فإن أكثر اليهود والنصارى حينما سمعوا وحي الله تعالى في خصوص الأمور التي تتعلق بهم وبأسلافهم أذعنوا وآمنوا بالنبي ﷺ وهم أعرف بالمقلد لدينهم من غيره.

إن كلام المدعي يستلزم إثبات شيء كان إثباته بالنسبة إليه ترجيح بلا مرجح إذا كان منكراً لكل الديانات، وهذا الشيء هو اعترافه بأن التوراة والأنجيل من الله تعالى أو يستلزم أنه من المعتنقين لليهودية أو النصرانية فإن المتأمل في كلامه يلاحظ أنه صب جهده في إنكار أن يكون هذا القرآن من قبل الله تعالى أنزله على النبي ﷺ بواسطة الوحي، فهو إن كان ينكر أصل الإيحاء فلا بد أن ينكر كل كتاب سماوي، وإن كان يعترف به ويقول إنّ ما جاء به النبي ﷺ هو ما تعلمه من التوراة والأنجيل فهو ترجيح بلا مرجح إلا إذا قلنا هو منكر له من باب أنه معتنق، إمّا لدين اليهود أو النصارى وإن كان كلامه لا يستفاد منه ذلك فإذن هي مجرد أكاذيب ودعاوى باطلة هدفها تضليل المسلمين وإبعادهم عن دينهم، والطعن بكل ما هو مقدس، وبعبارة أخرى نقول إذا كان ينكر كل إيحاء فكيف يدعي أن النبي ﷺ تعلم من التوراة والانجيل، فإنّ قوله هذا يستلزم أنه يقرّ بأن التوراة والانجيل هما إيحاء من قبل الله تعالى دون القرآن الكريم، وهذا ترجيح بلا مرجح، نعم لو

قلنا إنه مؤمن بهما دون القرآن الكريم فهذا يلزم أنه معتنق لأحدهما إلا أن هذا لا يستفاد من كلماته، فلا يعدوا هذا الكلام من أن يكون لمجرد التضليل وحسب.

ثم إن صاحب هذه الفرية أراد من وراء ذلك أن يحقق أمرين: الأول: يرجع إلى النبي ﷺ، والثاني: يرجع إلى القرآن الكريم، أما الأول فإنه يريد به إنكار نبوة الخاتم ﷺ، وتصوير النبي ﷺ بأنه مجرد رجل صالح يحب الله تعالى، وأما الثاني: فإنه يريد به إنكار كون الكتاب العزيز من الله تعالى، ولو تأملنا في هذا ملياً لوجدنا أن هذا الكلام يصب في مصالح أعداء الإسلام الذين همّهم إنكار نبوة نبينا صلى الله عليه وآله وإنكار كون القرآن الكريم من الله تعالى، وهذا الشيء بالغ الخطورة فلابد لشبابنا أن يلتفتوا لما يحاك لهم من أجل طمس معالم دينهم ويحذروا من الأصوات المزورة للحقائق بحجج وأكاذيب واهية لا تستقطب إلا أصحاب العقول البسيطة الساذجة، وأن يكونوا أحرص الناس في الذب عن دينهم وثوابتهم.

تاسعاً:

الأحكام الشرعية وشمولها لجميع البشر

إن شريعة الله تعالى التي أُرسل بها النبي الأكرم محمد ﷺ لم تكن في يوم من الأيام شريعة مختصة بجماعة أو طائفة دون أخرى وإنما هي شريعة عامة لكل مكلّف، فكل إنسان عأقل بالغ يتوجه إليه الخطاب الإلهي بوجوب الإيمان برسالة النبي محمد ﷺ والالتزام بأحكامها، وإيمان المسلمين بالأحكام الشرعية وإتيانهم لها لا يعني أن غيرهم غير مشمول بها كما يتصوره بعض المشككين ويصفها أنها من مختصات المسلمين، فإن النبي ﷺ حينما بُعث لم يكن هناك مسلمون ومن ثم أُرسل إليهم حتى يقال إن الأحكام خاصة بهم بل المسلمون وجدوا بعد بعثِته، ودعوته ﷺ لم تكن مقتصرة على قومية دون أخرى ولا على أصحاب ديانة خاصة دون سواها بل دعوته كانت عامة لكل البشر في جميع بقاع الأرض، وهذا لا يحتاج في إثباته أكثر من الرجوع إلى آيات القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[1] وكذلك بالرجوع إلى كتب التاريخ التي تحدثت عن تلك الفترة الزمنية، ثم إن هذه الشريعة بما تشمله من أحكام وتعاليم هي شريعة إلهية شرعها الله تعالى لمصلحة العباد، وهي لا تختص بتلك الفترة الزمنية بل هي دائمة وممتدة إلى

---

(١) سورة سبأ: آية ٢٨.

أن يشاء الله تعالى فكل إنسان في هذا العالم الآن مكلف بالصلاة والصيام والحج والزكاة وباقي الأحكام الشرعية كما كان أصحاب النبي ﷺ مكلفين بها بلا تفاوت ولا اختلاف وان حأول بعض أعوان الشيطان أن يصور أن هذه الأحكام هي أحكام قديمة وجدت لأصحاب ذلك الزمان فقط، وأما الإنسان في الوقت الحاضر فهو غير ملزم بالإتيان بها متبعاً أسلوباً ماكراً للإيقاع بأصحاب العقول البسيطة، وذلك من خلال استشهاده ببعض الأحكام التي كانت تقتضيها ظروف وزمان ذلك العصر ثم ينتهي إلى نتيجة مفادها أن أحكام الله ليست دائمة كإتيانه بمسألة وجوب الهجرة من مكة إلى المدينة، أو مسألة حرمة أن يرفع المسلمون أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ المستفاد من قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾[1]، فإن مثل هذه الأحكام من مختصات المسلمين في ذلك العصر، لكن أين هي من الصلاة والصيام والحج والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي هي باقية ببقاء الخلق، ثم إن هذا البعض رضي لنفسه أن يكون قريناً ومساعداً للشيطان في الإغواء، وذلك من خلال سلوكه طرقاً أخرى للاغواء وإيقاع الشباب في شراك التضليل عن تعاليم الإسلام من قبيل ادعائه أنه لا داعي للقول إن هذه الأحكام واجبة على العباد وإنّ تاركها يستحق العقاب مدعياً أن العبد إذا قام ببعض العبادات لأجل الخوف من العقاب فلا فضيلة تذكر له، وإن تركه للقتل والسرقة يكون أفضل من إتيانه لها، ولكن نقول لهذا البعض إن هذا الكلام لابد أن ينطبق على المحرمات أيضاً حذو القذة بالقذة فإذا ترك الإنسان القتل والسرقة خوفاً من العقوبة

(١) سورة الحجرات: آية ٢.

فلا فضيلة تذكر له، والحال أن الغاية من تشريع الحرمة تحققت بتركه لها فإننا قلنا إن الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد أي أن أوامر الله تعالى لابد فيها من مصلحة تعود على العبد، ونواهيه سبحانه وتعالى شرعت لأجل وجود مفسدة في الفعل المنهي عنه، والذي يريده الله تعالى هو إيجاد الفعل في الأوامر وعدم إيجاده في النواهي فإنّ هذه هي الغاية الأولى والأساسية من ذلك فلو أن سائق سيارة توقف لأجل إشارة المرور الحمراء الدالة على لزوم التوقف لأجل أنه مؤمن بضرورة احترام القانون، وأن سائقاً آخر توقف لا لأجل ذلك بل لخوفه من العقاب على المخالفة فإنه على كلا الحالتين أحرزنا تحقيق المصلحة وهي سلامة الناس من خطر المخالفة، نعم كون الفعل لابد فيه من الرغبة والمحبوبية فهذا شيء ثانٍ وعليه يترتب مقدار الثواب وبه تحدد الدرجات والمنازل، أضف إلى أن مدارك ومستويات الناس العلمية متفاوتة وليس الكل يدرك حقائق الأشياء ويقف على محاسنها ويفعلها لأجل حسنها الذاتي وهذا لا يضر في أصل الحكم ومنشأ تأسيسه والشيء المهم الذي لابد من التنبيه عليه هو لو أن شخصاً قيل له إذا كانت لك رغبة وشوق في إيجاد هذا الفعل فأفعله وإلا فتركه أولى، فما يكون حاله اتجاه هذا الفعل؟ لا كلام أنه لا يُقدم على فعله إذا لم تكن له إرادة ورغبة وهذا الأسلوب والكلام مؤداه الحث والتشجيع على ترك أوامر الله تعالى ولكن بأسلوب ماكر، فإنه ليس كل ما يريده الله تعالى يجوز لنا تركه إذا لم تتعلق إرادتنا به لأن أحكام الله تعالى ليست على نسق وأحد بل هي من ناحية الالزام وعدمه متفاوتة، فبعضها تتصف بالوجوب أو بالحرمة وهما حكمان الزاميان لا يحق للعبد مخالفتهما، وبضعها تتصف بالاستحباب أو الكراهة أو الاباحة وهي التي يجوز للعبد الاختيار في فعلها وتركها، أما بلا ترجيح لأحدهما على الآخر كما

في المباح أو بترجيح الفعل كما في المستحب أو بترجيح الترك كما في المكروه، والصلاة الواجبة والصوم الواجب مثلاً لا يحق للمكلف الاختيار في تركهما وإن كان في نفسه عدم إرادة ورغبة، وهذا هو عين الأمر الواجب.

عاشراً:

الفقهاء أمناء على شريعة الله تعالى

الشريعة كما جاء في كتب اللغة هي كل «ما شرع الله لعباده من الدين»[1].

أي كل ما سنّه الله تعالى لهم من أحكام، وفي الاصطلاح هي مجموعة أوامر ونواهيغ صادرة من قبل الله تعالى إلى الخلق كافة، ترتبط بأفعالهم وأقوالهم وكل ما يقومون به سواء ما يرجع إلى الفرد نفسه وعلاقته بالله تعالى أو إليه مع ملاحظة المحيط الذي يعيش معه كالأسرة والمدينة والدولة مع ملاحظة المصالح والمفاسد الراجعة إلى الخلق في إصدار الأوامر والنواهي، والواسطة التي من خلالها يتلقى الناس هذه الأوامر والنواهي هي الأنبياء والرسل والأئمة (صلوات الله عليهم)، والشريعة في طبيعتها تكون عامة من ناحية المكان وممتدة من ناحية الزمان فهي تتصف بالشمولية المكانية والزمانية ما لم تأت شريعة أخرى تنسخها فإن شريعة نبي الله موسى عليه السلام كانت عامة لجميع الخلق في ذلك الوقت ومستمرة إلى أن جاءت شريعة نبي الله عيسى عليه السلام وهي أيضاً كانت عامة وشاملة إلى أن جاءت شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وآله ونسختها حتى صارت شاملة لكل الخلق ولجميع العصور، لأنها خاتمة الرسالات فشريعة الإسلام شريعة باقية ببقاء الخلق والأحكام التي كانت مفترضة على المسلمين في زمن النبي صلى الله عليه وآله هي نفسها مفترضة علينا إلا

(١) مختار الصحاح، الرازي: ص٣٣٥.

بعض الأحكام التي كانت خاصة بهم في ذلك العصر، وقد تقدم بيان ذلك في مناسبة سابقة، وأحكام الله تعالى ثابتة لا تتغير بتغير الأحوال والأزمان فالحج مثلاً واجب على المسلمين منذ الصدر الأول للإسلام إلى يومنا هذا بنفس الكيفية ونفس الشروط، وهكذا حال الصلاة والصيام وبقية الأحكام.

والتقدم العلمي وتغير العالم على ما هو عليه سابقاً لا يتعارض مع أحكام الله تعالى كما صار يدعيه بعض المنحرفين عن الدين بحجة ان هذه الأحكام أحكام قديمة ما زال يتمسك بها الفقهاء ويخوفون الناس بمخالفتها حتى جَوّز البعض لنفسه أن يسميها بشريعة الفقهاء مدّعياً أنّ شريعة الله تعالى شريعة متغيرة بتغير الأزمان، ولا نعلم ما يريد بالتغيير أو التجدد فإن كان يقصد ضرورة تشريع أحكام جديدة فهو مردود للقطع بأن الرسالة المحمدية هي خاتمة الرسالات السماوية، وإن كان يقصد ترك الأحكام والتعاليم الإلهية المقطوع شمولها لنا فهو مطالب بأن يأتينا بأحكام غيرها، فإن كانت الأحكام التي يأتي بها من عند نفسه فهي لا تسمى أحكاماً شرعية، والقوانين الوضعية التي تضعها كل دولة لتنظيم شؤون مواطنيها لا تسمى أحكاماً شرعية لأن الأحكام الشرعية هي خصوص الأحكام الراجعة إلى الدين، والقوانين والنظم كلها أحكام وضعية تُنظّم شؤون المجتمعات، وهي مالم تتعارض مع أحكام الله تعالى لا إشكال فيها في نظر الشرع.

والذي يثير الاستغراب إصرار البعض على إنكار أحكام وتعاليم الله تعالى مع أنها لا تتعارض مع طبيعة وحياة المجتمعات، فإذا قلنا للإنسان الانكليزي أو الياباني أو الهندي أو غيرهم من باقي دول العالم: تجب عليك الصلاة، فهل هذا الحكم يتعارض مع استمرار حركة التقدم العلمي أو يتعارض مع جانب اجتماعي أو سياسي أو أي جانب من جوانب الحياة، لو

تأملنا ملياً لا نجد هذا الحكم يتعارض مع هذا كله.

إذن فما الذي يستفيده هذا البعض من الاعتراض على الأحكام الشرعية ومحأولة إنكارها، وقبل أن نقف على الأسباب الحقيقية التي دعت هؤلاء إلى إنكار أحكام وتعاليم الله تعالى لابد أن نقف على الأسلوب والطريق الملتوي الذي اتبعوه في ذلك وهو توجيه الطعن والتوهين صوب الفقهاء الذين يحملون شريعة الله تعالى بأن يصفون الأحكام والتعاليم التي يستنبطونها من الكتاب والسنة المقطوع صدورها من الله تعالى بأنها شريعة الفقهاء ويعنون بذلك ان هذه الأحكام والتعاليم ليست من الله تعالى.

وقد تقول: لماذا يوجه هذا البعض سهامه نحو الفقهاء خاصة وليس إلى الأحكام فإنه يسعهم أن يقولوا إن هذه الأحكام التي بأيدي المؤمنين ليست أحكام الله تعالى من دون التعرض للفقهاء في ذلك، نقول إن الغاية وإن كانت هي هذه التي يريدونها لكن لّما كانوا يعلمون أن المؤمنين لا يأخذون أحكام الله تعالى وتعاليمه الا عن طريق الفقهاء ويعلمون مدى تأثير علمائنا الأعلام على الناس في ذلك لما لهم من المنزلة والمكانة في قلوب المؤمنين والهالة العظيمة في نفوسهم لا بما هم أشخاص فقط بل بما هم حملة وحفظة لدين الله تعالى، لأجل هذا كله عمد هذا البعض إلى أن يقطعوا على الناس الطرق والأسباب التي يتوصلون من خلالها إلى أحكام الله تعالى.

ثم إن الأمر لم يصل إلى هذا الحد فقط بل أخذوا يتبعون طرقاً أخرى في سبيل اضعاف دور الفقهاء في المجتمعات المسلمة من خلال ادعائهم بعض الدعاوى الباطلة في حقهم من قبيل ان الفقهاء جامدون على العلوم القديمة وعدم انفتاحهم على العلوم الحديثة كالفلسفة الحديثة والانثروبولوجية، وقولهم إن جهد الفقهاء منصب على معرفة الحلال والحرام فقط من دون

التعرض للقضايا المهمة التي يتعرض لها المجتمع وما إلى ذلك من هذه الدعاوى.

إن كل منصف لو تأمل في هذه الدعاوى لا يسعه إلا أن يحكم بسذاجة مدعيها؛ لأنها إما دعاوى مغلوطة أو كاذبة أمّا في خصوص الدعوى الأولى فإنه يكذبها كل من اطلع على المناهج العلمية التي تدرس في الأوساط الحوزوية على أن بعض العلوم ليست من مختصات الفقيه، وهذا لا يعد نقصاً فإننا لا نلزم الطبيب أن يكون عالماً بعلم الهندسة أو الفلسفة، ولو كان جأهلاً بهما لا يؤثر على مقامه ومنزلته بما هو طبيب، لأنه أصبح واضحاً أن لكل علم خاص استقلالية فتجد له علماء مختصين وجامعات مستقلة بل بعض العلوم أصبح لاقسامه وفروعه استقلالية من حيث المختصين والدراسات.

فإذن عدم تعرض الفقهاء لبعض العلوم التي لها من يقوم بها لا يعد نقصاً فيهم؛ لأن لهم اختصاصهم وهو استنباط الأحكام الشرعية ولغيرهم اختصاصهم كل حسب علمه والفقيه إذا احتاج إلى بعض المسائل التي تتعلق بالعلوم الأخرى يرجع فيها إلى المختصين في ذلك العلم كعلم الطب مثلاً فإذن الفقيه في بعض الأحيان يعتمد على بعض العلماء في العلوم الأخرى في تشخيص الموضوعات التي تحتاج إلى أحكام خاصة أو تأمين صغرى القياس في بعض الأحيان لتطبيقها على الكبريات التي هي في الغالب وظيفة الفقيه، وهذا إن دل على شيء دل على احترام الفقهاء لأصحاب العلوم الأخرى والوثوق بهم بما هم أهل اختصاص.

أما خصوص الرد على الدعوى الثانية وهي: أن الفقهاء مقتصرون على معرفة الحلال والحرام من دون التعرض للقضايا الأخرى التي تخص المجتمعات فنقول: متى كانت معرفة الحلال والحرام عيباً عند العقلاء، وهي

مهمة كانت أولاً وبالذات مهمة الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم)، ومن ذلك قول نوح عليه السلام لقومه حين رموه بالضلالة ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[1].

ثم بعد ذلك انيطت هذه المهمة بالعلماء الثقاة الحاملين لعلومهم، هذا أولاً، وثانياً من قال إن علمائنا ليس لهم مساس بقضايا المجتمع فإنها مجرد دعوى يكذبها كل من راجع سير العلماء في القضايا المصيرية التي واجهت الأمة الإسلامية، ولا نذهب في الامثلة بعيداً بل نقتصر على الفترة التي أعقبت سقوط النظام في العراق، فإن الاستشهاد بها لا يكلف القارئ جهداً كبيراً، فإنه من اللحظة الأولى لسقوط النظام الجاثم على صدور العراقيين ومجيء قوات الاحتلال إلى العراق التي أهدافها وغاياتها لا تختلف عن أهداف الدول التي كانت تحتل البلدان الإسلامية فإنه من تلك اللحظة حثّت المرجعية العليا في النجف الأشرف المتمثلة بسماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) المؤمنين على كتابة الدستور ومن قبله انتخاب جمعية وطنية، وكان أكثر الشعب العراقي لا يعرف بعد الغاية والهدف من إصرار السيد على ذلك حتى فهموا أن هذه الخطوات كانت مهمة وضرورية لأنها الخطوة الأولى لأن يحكم الشعب نفسه بنفسه، وهي أيضاً بداية لإنهاء الاحتلال وانقاذ العراق من القيود والعقوبات التي كانت مفروضة عليه، وبالفعل قُدّر لكل ما أرادته المرجعية أن يتحقق، حتى صار العراق بلداً ذا سيادة كاملة على المستوى الداخلي والخارجي الا أن هذا التقدم الذي أحرزه العراق لم يرق لأعدائه حتى أوقعوه في دوامة جديدة، وهي دوامة

(١) سورة الأعراف: الآية ٦١-٦٢.

الارهاب المتمثل بتنظيمات ومسميات مختلفة كان آخرها تنظيم داعش الذي كاد أن يعصف بهذا البلد لولا تدخل المرجعية وإصدارها الفتوى التاريخية بالجهاد التي لولاها لما كان لأهل هذا البلد باقية، ثم إن الأمر لم يقتصر على إصدار الفتوى فحسب بل تعداه الى إبداء النصح والمشورة لكل مفأصل الدولة، فصار رجل الدين يُرى في كل المواضع التي تحتاج وجوده حتى في ساحات الجهاد، بل بعضهم قد سقى أرض الوطن بدمه الطاهر، كل ذلك شعوراً منهم بالمسؤولية اتجاه الدين والوطن بل لو اطلع المنصف على الكلمات والخطابات الصادرة عن ممثل المرجعية العليا في كربلاء أثناء خطب الجمعة لرأى أن المرجعية تهتم بكل قضية تخص الإنسانية وحضارتها بغض النظر عن القومية والدين، فإن مسألة تخريب الآثار وهدم المناطق الأثرية هي مسألة تخص الإنسانية جمعاء، لأنها تمثل ماضي وتاريخ الأمم، لأجل ذلك رأينا وسمعنا وكيل المرجعية الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دام عزه) يتأسف على هذا الإرث التاريخي ويحث المجتمع الدولي على أن يقف أمام هذه العصابات الاجرامية التي تعبث بهذا الإرث التاريخي والمقام لا يسع، لأن نسطر كل القضايا التي أشارت إليها المرجعية ووقفت عليها وعالجتها فإذن المنكر لدور الفقهاء في القضايا التي تخص تنظيم وإدارة المجتمع هو كالمنكر للشمس في رائعة النهار.

إلى هنا تم ما أردنا بيانه من الرد على أصحاب هذه الدعوى إلا أنه بقي شيءٌ وأحد وعدنا ببيانه والوقوف عنده ألا وهو معرفة الأسباب الحقيقية التي دعت هؤلاء إلى أن ينكروا أحكام الله تعالى، والأسباب هي:

أولاً: محو الهوية الشخصية للشاب المسلم واستبدالها بعناوين تتلائم ورغباتهم.

ثانياً: رسم وتطبيق المخطط الاستعماري الفكري الجديد وتأمين أجندات مستقبلية لهم في العالم الإسلامي.

ثالثاً: تفكيك الأمة الواحدة وإضعافها بغية السيطرة عليها بسهولة وهذا ما نجده واضحاً في أغلب البلدان الإسلامية.

رابعاً: تأمين فكرة أن يتقبل الإنسان المسلم أن يكون بين أرجاءه كيان أجنبي عنهم وإن كان يتقاطع مع متبنياتهم كالكيان الإسرائيلي الجاثم على ربوع البلدان الإسلامية.

خامساً: الخوف من هيمنة الإسلام الحنيف على العالم بأفكاره ومبادئه العالية.

سادساً: الخوف من قوة الإسلام المستقبلية خاصة وإن التاريخ يُخبرنا بأنه سوف يكون للإسلام قوة وهيمنة على العالم على يد رجل من ولد النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وهو الحجة بن الحسن (عجل الله تعالى فرجه) الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً.

وفي الختام نذكر حديثاً للإمام الصادق عليه السلام بالغ الأهمية يذكر فيه دور ومكانة العلماء الحاملين لأحكام وتعاليم الله تعالى، وهو ما رواه جميل بن دراج عنه عليه السلام، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (بشرّ المخبتين بالجنّة): بريد بن معاوية العجلي، وأبا بصير ليث بن البختري المرادي، ومحمد بن مسلم، وزرارة أربعة نجباء أمناء الله على حلاله وحرامه لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست)[1].

(١) الكافي، الكليني: ج٢، ص٨٠.

حادي عشر:

دور السيد السيستاني (دام ظله) في المشهد السياسي

وللوقوف على دور المرجعية أكثر وبالتحديد دور السيد السيستاني (دام ظله) نرى من الضروري أن يطلّع شبابنا على الخطوات العملية التي اتبعها سماحته في بناء الدولة، وذلك بعد فترة سقوط النظام في العراق واحتلال أمريكا له ليقفوا على أهمية دور المرجعية والحاجة الماسة لها، ويتبينوا زيف الدعوى التي تصوّر المرجعية الدينية بما يحط من مكانتها ومنزلتها.

إذ تعتبر المرجعية الدينية الشيعية الامتداد الطولي لمنصب الإمامة، فإن المرجع الجامع للشرائط يعتبر وكيلاً عن الإمام المهدي عجل الله فرجه يؤدي عنه جملة من المهام المناطة به عليه السلام، وتشريع هذه الوكالة ليس أمراً جزافياً اقتضتها الظروف بعد غيبة الإمام الحجة (عجل الله فرجه) بل هي امرٌ إلهي تشريعي قد مُهد لهُ قبل غيبة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وبالتحديد في زمن الإمامين العسكريين عليهما السلام، نعم في زمن ما بعد الغيبة مرّت بمرحلتين: مرحلة الوكلاء الخاصين أي المنصّبين من قبل شخص الإمام الحجة (عجل الله فرجه) وهي فترة الغيبة الصغرى، ومرحلة الوكلاء العامين، وهي فترة ما بعد الغيبة الكبرى، وقد تحمّل مراجعنا العظام منذ ذلك الزمن وإلى يومنا

هذا أعباء هذه المهمة الصعبة رغم المضايقات التي كانت تواجههم من قبل الحكومات الظالمة في كل عصر ومكان، ولولا جهودهم وصبرهم في تدوين وحفظ أحكام الشريعة لضاعت أكثر الأحكام الشرعية، فقد كانوا العين الصافية التي يستقي من معينها الناس أحكام دينهم ودنياهم بما في ذلك الأمور التي تتعلق بسياسة المدن والدول، ولما كانت زمام الأمور في الغالب هي بأيدي المخالفين كانت نسبة مشاركتهم بهذا الجانب ليست بالكبيرة.

نعم في بعض الأحيان تحتاج بعض الحكومات الظالمة الى استشارتهم حين وقوعهم في الأزمات السياسية، وهي نفسها طريقة الحكام السابقين مع أئمة أهل البيت عليهم السلام حيث كانوا يهرعون إليهم في كل نائبة تحل بهم، أما في الوقت الراهن فقد أصبح لأتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام في بعض البلدان وبحمد الله تعالى شيئاً من النفوذ والقوة فاقتضت المصلحة إلى أن يتدخل مراجعنا العظام في حل الأزمات التي تواجه المجتمعات، وكلامنا هذا منصبّ على دور سماحة آية الله السيد السيستاني (دام ظله) في فترة ما بعد سقوط النظام في العراق، وكيف أنه كان له الدور الأكبر في تغيير وتحقيق كثير من الأمور المهمة في هذا البلد.

المرجعية وبناء الدولة:

لقد تقدم سابقاً الحديث عن أن المجتمعات البشرية منذ بداية نشأتها إلى يومنا هذا تسالمت على وضع قوانين لها، تنظّم طبيعة العلاقات بين أفرادها، وبينها وبين المجتمعات الأخرى التي ترتبط بها سواء على المستوى الجغرافي أو الاقتصادي ونحوهما، وتختلف طريقة الأخذ بالقوانين من مجتمع إلى آخر، فبعضهم يأخذ بقانون السماء الذي جاء على يد الأنبياء

والمرسلين عليهم السلام، وبعضهم حأول أن ينظّم قانوناً خاصاً لنفسه، وبعضهم حأول أن يُوفّق بين الأمرين، وليس الكلام في ذلك، بل الكلام كل الكلام أن المجتمعات لم تترك هذا الفراغ شاغراً بل استوعبته بما يؤدي إليه نظرها. وأصبحت كل جماعة لها دستور يحدد مسار حركتها في الداخل والخارج ولها حدود جغرافية متميزة تسمى بـ (الدولة)، وهذا الاسم لا يصدق على مسمّاه إلا بعد أن يأخذ جميع خصائصه، والدول القائمة حالياً لا تخلو في السابق إما أن تكون مجتمعات بسيطة: قبلية أو نحوها ثم بمرور الزمن ولأسباب عديدة كنضوج المستوى الفكري لأفرادها أو لتأثرها بالغير غَيّرت نفسها ووصلت إلى هذه المرحلة، أو أنها كانت جزءً من دولة أخرى ثم إنفصلت لأسباب عِرْقية أو إقليمية أو نحوهما، أو أنها كانت دولة قائمة ثم إنهارت: أما لغلبة نظام على آخر، أو لعدم صلاحية السابق، أو لتعرض الدولة إلى احتلال خارجي يؤدي بالنتيجة إلى تغير نظام الدولة السابق.

وعلى كل التقادير فإن المجتمع الذي يطمح إلى إنشاء دولة يسودها القانون والنظام لابد له من وسائل وآلات تساعده على ذلك، لأنها مهمة ليست بالسهلة ولا بالبسيطة، وقد وجدت خلال القرون المتأخرة عدة منظمات أو مؤسسات عالمية أو إقليمية يُركن إليها في مثل هكذا أمور وخير مثال على ذلك منظمة الأمم المتحدة.

إلا أنه بعد سقوط النظام في العراق في سنة ٢٠٠٣م -بسبب الاحتلال الأمريكي، وانعدام الشكل الحقيقي لنظام الدولة فيه- برز عامل جديد كان له الدور الرئيس في بناء نظام الدولة في العراق، وهذا العامل هو المرجعية الدينية المتمثلة بسماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام

ظله)، ومن الانصاف أن نذكر أن هذا العامل له أصول وجذور في الماضي إلا أن بصماته لم تكن بهذا الوضوح والفعالية، وإنما كانت محأولات لم يكتب لأكثرها النجاح سوى محأولة الشيخ محمد كاظم الآخوند الخرساني قدس سره التي عرفت في حينها بالمشروطة والتي جوبهت في ذلك الوقت وبشكل صارم إلا أن الشيخ قدس سره أصرَّ على مطالبه لعلمه بالمصالح المترتبة على ذلك، وكذلك ثورة السيد الخميني قدس سره التي كان لها الأثر البالغ في تغيير الواقع السياسي والاجتماعي في إيران. أما في فترة ما بعد سقوط النظام في العراق فكان لمرجعية السيد السيستاني (دام ظله) الدور الأكبر في تغيير الواقع السياسي لا بكونه شريكاً في العملية السياسية بل بكونه المُرشد والمُنظِّر بما يؤدي إليه نظره الشريف وكان سماحته (دام ظله) يعتبر هذا جزءً من التكليف الذي أُلقي على عاتقه.

وتقييم هذا الجهد الذي حقّقه سماحة السيد (دام ظله) لا يتم إلا بعد الاطلاع على السياسة والأسلوب الحكيمين اللذين اتبعهما في تعامله مع الواقع السياسي العراقي الذي كان على شفى حفرة لولا وجود السيد (دام ظله)، ولعل أكثر الناس يعلمون بالجهد الذي حققه السيد (دام ظله) إلا أنهم لا يعلمون بالخطوات التي اتبعها في تغيير الواقع السياسي والخروج من الأزمات التي كانت تمر على البلد والصعوبات التي كانت تواجهه على المستويين الداخلي والخارجي، فإن القوى الظالمة كانت تحأول أن تُكيّف سياسة العراق وفق مصالحها الشخصية في المستقبل من تحديد نظام حكم خاص وجعل دستور معين وفق رؤاها وما إلى ذلك، إلا أنّ السيد (دام ظله) كان أكبر همه مصالح الشعب العراقي وتخليصهم من قيود الاحتلال والحكومات الظالمة التي أنهكت قواه على مرِّ السنين، فلأجل تبصرة الجأهل،

أو إزالة الضباب عن المشكك، أو لأضافة معلومة لمن يعلم رأيت أن أذكر الخطوات الحكيمة التي اتبعها السيد (دام ظله) من بداية سقوط النظام إلى الفترة التي استعاد فيها العراق عافيته السياسية وكيف أنه ساهم في الخروج بنتيجة حسنة تتمناها أكثر الشعوب في العالم، وسأحأول أن أعرض هذه الخطوات حسب التسلسل الزمني.

أنّ السيد (دام ظله) ومن اللحظة الأولى لسقوط النظام في العراق طالب وعن طريق وسائل الإعلام، أو من خلال الشخصيات السياسية التي تلتقي به بأن يكون لهذا البلد دستور يُنظّم طبيعة حياة أبناء هذا البلد وطالب أن يكتب هذا الدستور بأيادي عراقية وأن تكون منتخبة من قبل أبناء هذا الشعب، وليست معينة من أي جهة كانت، ولما رأى أن سلطات الاحتلال قررت تشكيل مجلس لكتابة الدستور العراقي وأنها ستعين أعضاء هذا المجلس بالمشاورة مع الجهات السياسية أصدرت الفتوة المشهورة الخاصة بالدستور وذلك بتاريخ ٢٥ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ حيث أكد على أن تلك السلطات ليس لها صلاحية لذلك حيث قال سماحته: (إن تلك السلطات لا تتمتع بأية صلاحية في تعيين أعضاء مجلس كتابة الدستور.... ولابد أولاً من إجراء انتخابات عامة لكي يختار كل عراقي مؤهل للانتخابات من يمثله في مجلس تأسيسي لكتابة الدستور..)[1].

السؤال الذي يفترض أن يُسأل هو: ماذا تتوقع لو إن سلطات الاحتلال كتبت أو شاركت في كتابة الدستور العراقي؟ من الأكيد أن العراق سوف يكون مكبلاً بقيود لا يتخلص منها بسهولة بل هو الهدف الذي كانت سلطات الاحتلال تطمح إليه.

(١) النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، حامد الخفاف: ص٣٥.

ثم إن السيد (دام ظله) وضع أمام أعين الأشخاص الذي سيساهمون في كتابة الدستور العراقي مواصفات لشكل الدستور، وهذا منه ليس إملاءً لهم بل إرشاداً وتذكيراً لهم بأن يضعوا أمام أعينهم –باعتبار أن العراق أكثرية مسلمة– الثوابت الدينية والمبادي الأخلاقية، وقد جاء ذلك صريحاً في جوابه على أسئلة صحيفة بايونير الهندية الذي أعلنه مكتب السيد بتاريخ ١٦ جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ وجريدة الزمان العراقية التي أعلنه المكتب أيضاً بتاريخ ١٧ جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ وسنكتفي بذكر جواب جريدة الزمان وهو أن (الثوابت الدينية والمبادئ الأخلاقية والقيم الاجتماعية النبيلة للشعب العراقي ينبغي أن تكون هي الركائز الأساس للدستور العراقي القادم إلى جنب مبدأ الشورى والتعددية واحترام الأقلية لرأي الأكثرية ونحو ذلك)[١].

ومن الأمور المهمة التي يفترض التأكيد عليها هي نظرة السيد دام ظله بأن لا يكون العراق بمعزل عن المنظمات العالمية التي تساعد كثيراً في الخروج من الأزمة التي تمر بالعراق كمنظمة الأمم المتحدة، ويرى ضرورة مشاركة منظمة الأمم المتحدة في التدخل، وطلب السيد (دام ظله) بنفسه ذلك من الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان وذلك من خلال التعزية التي بعثها له بتاريخ ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ على اثر اغتيال ممثل الأمم المتحدة في العراق (سيرجيودي ميلو) ومن بعض ما جاء في التعزية: (نأمل أن تتولى [المنظمة الدولية] دوراً مركزياً في إقامة الأمن والاستقرار في العراق خلال المرحلة الانتقالية وتقوم بالأشراف على الخطوات اللازمة لتمكين العراقيين

(١) النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، حامد الخفاف: ص٥٥-٥٦.

من أن يحكموا بلدهم بأنفسهم وتعود إليهم السيادة عليه)[١].

ولما رأت سلطات الاحتلال أنّ سماحة السيد (دام ظله) يريد إشراك الأمم المتحدة في حلِّ الأزمة العراقية تخوفوا كثيراً من ذلك وأرادوا هم وبعض القادة العراقيين أن يبعدوا شراكة الأمم المتحدة خوفاً من أن تفسد مخططاتهم، ويريدون أن يكونوا وحدهم المحرك للأمور، ولأجل ذلك صوروا الرأي العام بأن العراق في هذه الفترة غير صالح لإجراء انتخابات فيه، وذلك لكي يمرروا القانون الذي وضعوه ثم بعد ذلك يجعلوه كدستور ثابت للعراق، إلا أن السيد (دام ظله) تنبه لهذه اللعبة وطلب أن يأتي فريق من الأمم المتحدة لدراسة الأوضاع في العراق ليرى إمكانية إجراء انتخابات في الفترة المقررة، وأن طلبه هذا مستند إلى علمه بإمكانية إجراء الانتخابات، وذلك من خلال تقارير الخبراء العراقيين التي قدمت إليه، فاستجابت منظمة الأمم المتحدة لذلك فأرسلت بعثة من مجموعة خبراء لدراسة أوضاع العراق من حيث إمكانية إجراء الانتخابات فيه فخرج التقرير الختامي للبعثة بعد فترة من زيارته للعراق وقد كان متوافقاً مع رؤى السيد (دام ظله).

وعلى أثره صدر من مكتب سماحة السيد (دام ظله) بيان بتاريخ ٥ محرم الحرام ١٤٢٥هـ أُجمل فيه ما جاء في تقرير الأمم المتحدة، وكذلك تضمن عدة مطالب مبنية على مخاوف منها: أن قرار الأمم المتحدة بإمكانية إجراء الانتخابات وحده غير كافٍ ما لم يكن هناك ضمان يضمن إجراء الانتخابات، وأن يكون هذا الضمان من جهة يكون لقرارها نفوذ والتزام كمجلس الأمن الدولي، ومنها المخاوف من نزاهة الانتخابات باعتبار أن المشرف عليها جهة غير منتخبة من قبل الشعب.

(١) النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، حامد الخفاف: ص٥٨.

ومنها آلية نقل السلطة وإليك نص المطالب التي جاءت في البيان: (إن المرجعية الدينية تطالب بضمانات واضحة –كقرار من مجلس الأمن الدولي– بإجراء انتخابات وفق ذلك التاريخ، لِيَطمئن الشعب العراقي بأن الأمر لا يخضع مرة أخرى لمزيد من التسويف والمماطلة لذرائع مشابهة للتي تطرح اليوم. كما تطالب المرجعية بأن تكون (الهيئة غير المنتخبة) التي تسلّم لها السلطة في الثلاثين من حزيران: (إدارة مؤقتة ذات صلاحيات واضحة ومحدودة تُهيئ البلد لانتخابات نزيهة وحرة وتدير شؤونه خلال الفترة الانتقالية) من دون تمكينها من اتخاذ قرارات مهمة تلزم الحكومة المنبثقة من مجلس منتخب.

وأما فيما يتعلق بالآلية التي سيتقرر اعتمادها في عملية نقل السلطة فإن هناك قلقاً متزايداً من أن لا يتيسر للأطراف المعنيّة التوصل في المدة المتبقية إلى آلية تتمتع بتأييد الشعب العراقي على أوسع نطاق)[1].

السيد يُحذر مجلس الأمن:

من الملاحظ أن السيد دام ظله دائماً كان يعتبر نفسه المحامي الأول الذي يدافع عن حقوق الشعب العراقي، فلذلك نراه السباق إلى كل مسألة يرى أنها تصب في مصلحة أبناء هذا الشعب، ومن الملاحظ أيضاً أن أسلوبه في التعاطي مع الأزمات ومعالجاتها كان أسلوباً يتصف بلغة الارشاد والتوجيه مع جميع الجهات الداخلية والخارجية، إلاّ أن هذا الأسلوب بدأ يتغير ويصل إلى مرحلة التحذير، وذلك لما رأى أن بعض الجهات تريد أن تهدم ما أُنجز بناءه وذلك من خلال اللعب بالأوراق السياسية حيث إن

(١) النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، حامد الخفاف: ص١٠٥-١٠٧.

بعض الجهات كانت تسعى إلى إضفاء الشرعية الدولية لقانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية عن طريق ذكره في القرار الجديد لمجلس الأمن الدول حول العراق، فتنبه سماحة السيد (دام ظله) إلى خطورة هذه المسألة، فبادر بإرسال رسالة إلى رئيس مجلس الأمن الدولي يحذره وأعضاء مجلسه من مغبة هذه المسألة وقد أعلن مكتب السيد دام ظله نص هذه الرسالة بتاريخ ٦/ ٦/ ٢٠٠٤م، ومن جملة ما جاء فيها: (إن هذا القانون الذي وضعه مجلس غير منتخب وفي ظل الاحتلال وبتأثير مباشر منه يقيد الجمعية الوطنية المقرّر انتخابها في بداية العام الميلادي القادم لغرض وضع الدستور الدائم للعراق. وهذا أمر مخالف للقوانين ويرفضه معظم أبناء الشعب العراقي ولذلك فإن أي محأولة لإضفاء الشرعية على هذا القانون من خلال ذكره في القرار الدولي يُعد عملاً مضاداً لإرادة الشعب العراقي وينذر بنتائج خطيرة. ويرجى إبلاغ موقف المرجعية الدينية بهذا الشأن إلى السادة أعضاء مجلس الأمن المحترمين وشكراً)[1]. فاستجاب مجلس الأمن الدولي لمطالب سماحة السيد (دام ظله)، حيث لم يوافق على هذه المقترحات بل أُوكل مهمة كتابة الدستور إلى البرلمان العراقي القادم، الذي لم تبقَ إلا فترة قصيرة على انتخابه.

اللمسات الأخيرة:

اقتربت اللحظات التي كان يترقبها أبناء الشعب العراقي، والتي يكون فيها خلاصهم من قيود الاحتلال والتَسلّط، ولما كان أبناء هذا الشعب لم يألفوا مثل هذه العملية الديمقراطية، احتاجوا إلى من يوجههم في ذلك من خلال حثهم على المشاركة في الانتخابات، والـتأكد من وجود

(١) النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، حامد الخفاف: ص١٢٣.

اسمائهم في سجل الناخبين كي يضمنوا مشاركتهم في الانتخابات، وقد بادر سماحة السيد (دام ظله) إلى وضع هذه اللمسات الأخيرة للوحة السياسية التي جهد على إخراجها بشكل واضح وسليم بأن حدد للمواطن العراقي طريقه في مرحلة الانتخابات وما قبلها كي يضمنوا حقوقهم المستقبلية، وجاء ذلك من خلال الاجابة على الاستفتاء الذي قُدِّم إلى سماحته بهذا الخصوص بتاريخ ٢٦ شعبان ١٤٢٥هـ، حيث قال: (يجب على المواطنين المؤهلين للتصويت من الذكور والإناث التحقق من إدراج اسمائهم في سجل الناخبين بصورة صحيحة ومن لم يدرج اسمه أو أدرج بصورة مغلوطة فعليه مراجعة اللجنة الانتخابية في منطقته وإبراز المستمسكات المطلوبة للتدارك والتصحيح..)[1].

نعم سجّل التاريخ اللحظات الحاسمة لأبناء الشعب العراقي وهم يتوافدون على صناديق الاقتراع، اللحظات التي نُسجت بعرق جبين المرجعية، وسجل انتصارهم الذي حققوه على كل من كان يريد السوء لهذا البلد وهو في الحقيقة لم يكن انتصاراً وأحداً بل عدة انتصارات: انتصاراً ضد الجهل، وانتصاراً ضد التسلط والاستبداد ونظام الحزب الوأحد، وانتصاراً ضد الطائفية، وانتصاراً ضد قيود الاحتلال التي كانت مكبلة له فانفتح للعراق باب الحرية، وبزغت شمس الاستقلال، وصار يتطلع لمستقبل زاهر.

الارادة تحقق المستحيل:

تظافرت ارادة المرجعية ومؤازرة أبناء الشعب العراقي لها على تحقق كل ما يمكن أن يصب في مصلحة هذا البلد ومن الأمور المهمة التي تركزت

(١) النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، حامد الخفاف: ص١٣١.

إرادة المرجعية عليها هو بناء مجلس نيابي تنبثق منه حكومة لها الحرية في إدارة شؤون البلاد كباقي الدول التي تسودها الحرية، وبحمد الله تعالى تمكن العراقيون من إجراء الانتخابات النيابية التي أخرجت برلماناً انبثق منه حكومة تعمل بدستور كتب بأيادي عراقية، ولأهمية هذا الأمر طلب السيد (دام ظله) قبل إجراء الانتخابات بفترة من أبناء الشعب العراقي رجالاً ونساءً المشاركة في هذه الانتخابات مشاركة واسعة وذلك من خلال الاستفتاء الصادر من مكتبه بتاريخ ٨ ذي القعدة ١٤٢٦هـ[١].

نعم أجريت الانتخابات، واختير مجلس نيابي وكلف في حينها أياد علاوي بتشكيل الحكومة الجديدة، وقبل تشكيله للحكومة زار هو ومجموعة من السياسيين سماحة السيد دام ظله وبدوره السيد قام بوضع الأطر العامة لهم التي يفترض أن يسيروا عليها والتي تعتبر حجر أساس للبناء السياسي العراقي، ويمكن أن نلخص توجيهات سماحة السيد (دام ظله) لأعضاء الحكومة الجديده من خلال البيان الصادر من مكتبه دام ظله بتاريخ ٢٧/ ٤/ ٢٠٠٦:-

١- ضرورة أن تُشكل الحكومة الجديدة من عناصر كفوءة -علمياً وإدارياً..

٢- الاهتمام بالحالة الأمنية للبلد، ووضع حد للعمليات الاجرامية التي تطال الأبرياء يومياً.

٣- مكافحة الفساد الاداري في معظم مؤسسات الدولة الذي ينذر بخطر جسيم.

---

(١) النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، حامد الخفاف: ص١٤٨.

٤- تقديم الخدمات العامة لأبناء الشعب كتوفير الكهرباء والماء الصالح للشرب والوقود.

٥- استعادة السيادة الكاملة على البلد سياسياً وأمنياً واقتصادياً والسعي بشكل جاد لإزالة الاحتلال.

٦- إقامة أفضل العلاقات وأوثقها مع دول الجوار كافة المبنية على الاحترام المتبادل.

٧- التكاتف والتعاضد بين القوى السياسية وسائر الأطراف المعنية لانجاح هذه الحكومة وتمكينها من أداء مهامها على الوجه الصحيح.

وأكد سماحة السيد (دام ظله) على مسألة مهمة وهي أن المرجعية ستراقب الأداء الحكومي وتشير إلى مكامن الخلل فيه كلما اقتضت الضرورة ذلك وسيبقى صوتها مع أصوات المظلومين والمحرومين من أبناء هذا الشعب اينما كانوا بلا فرق بين انتماءاتهم وطوائفهم واعراقهم[1].

هذه بعض الشواهد والدلائل على دور السيد السيستاني (دام ظله) في إنجاح العملية السياسية في العراق، ولا أظنك أيها الشاب أنك تصغي بعد هذه الحقائق الملموسة للدعاوى الباطلة التي تمس مقام المرجعية العليا والكل يعلم أن هذه الدعاوى لا تخدم إلا أعداء الدين والمذهب، والغريب أننا نرى ونسمع أعدائنا من غير المسلمين يحسبون للسيد السيستاني (دام ظله) ألف حساب ويخشون من تدخله في العملية السياسية ويرون أن تدخله مانع لهم عن تحقيق أهدافهم ومخططاتهم ومن الشواهد على هذا قول الحاكم العسكري في فترة الاحتلال الأمريكي «برايمر» لوزيرة الخارجية

(١) النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، حامد الخفاف: ص١٥٣.

الأمريكية حينما أصر السيد السيستاني (دام ظله) على مخاطبة الأمم لأجل أن ترسل لجنة إلى العراق لتتبين امكانية إجراء الانتخابات أم لا –انتخابات الجمعية الوطنية– فإنه في حينها قال «برايمر» لوزيرة الخارجية:– أجل لكن علينا أن نكون مستعدين لمواجهة السيستاني إذا جاءت الأمم المتحدة ببديل معقول ينسجم مع أهدافنا والجدول الزمني ورفضه السيستاني)[1] لأن برايمر كان يخطط لأن يكون قانونه الذي وضعه لإدارة الدولة والذي صار يعرف بقانون برايمر دستور العراق الحالي وكان يصور للرأي العام عدم إمكانية العراق على اختيار جمعية وطنية– إلا أن السيد السيستاني كان يصرّ على إجراء الانتخابات لأختيار جمعية وطنية يناط إليها مهمة كتابة الدستور العراقي الجديد، وفي المقابل نرى بعض المحسوبين على الدين والمذهب يغضون أبصارهم عن مواقف السيد السيستاني (دام ظله) ويتمسكون ببعض الدعاوى الباطلة والافتراءات الزائفة ليحرفوا الناس عن طريق الحق فلا بد لشبابنا أن يتنبه لمثل هذه الأصوات ويحذروا منها بل ويقفوا في وجهها لأن هذا يدخل ضمن مسألة الدفاع عن حريم الدين وهي مهمة الجميع وفي مقدمتهم الشباب.

(١) النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، حامد الخفاف: ص٥١٨.

(ملحق)

نصائح
سماحة السيد السيستاني (دام ظلّه)
للشباب المؤمن

بسم الله الرحمن الرحيم

تحيّة طيبة للمرجع الديني الأعلى سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه الوارف)....

نحن جمعٌ من الشباب الجامعي ومن الذين ينشطون في المجال الاجتماعي، نرجو التفضّل علينا ببعض النصائح التي تنفعنا في هذه الأيّام والتي توضح دور الشباب وماذا يتطلّب منهم لكي يمارسوا دورهم، وغيرها من النصائح التي تنفعهم برأيكم الكريم.

جمعٌ من الشباب الجامعي والناشطين الاجتماعيين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمدٍ وآله الطاهرين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

أمّا بعد فإنّني أوصي الشباب الأعزاء – الذين يعنيني من أمرهم ما يعنيني من أمر نفسي وأهلي – بثمان وصايا هي تمام السعادة في هذه الحياة وما بعدها، وهي خلاصة رسائل الله سبحانه إلى خلقه وعظة الحكماء والصالحين من عباده، وما أفضت إليه تجاربي وانتهى إليه علمي:

لزوم الاعتقاد الحق بالله سبحانه والدار الآخرة

الأولى: لزوم الاعتقاد الحق بالله سبحانه والدار الآخرة، فلا يفرّطنّ أحدكم بهذا الاعتقاد بحالٍ بعد أن دلّت عليه الأدلّة الواضحة وقضى به المنهج القويم، فكل كائن في هذا العالم – إذا سبر الإنسان أغواره – صنع بديع يدلّ على صانع قدير وخالق عظيم، وقد توالت رسائله سبحانه من خلال أنبيائه للتذكير بذلك، وقد أبان فيها عزّ وجل أنّ حقيقة هذه الحياة – كما رسمها هو – مضمار يبلو فيه عباده أيّهم أحسن عملاً، فمن حجب عنه وجود الله سبحانه والدار الآخرة فقد غاب عنه من الحياة معناها وآفاقها وعاقبتها وأظلمت عليه المسيرة فيها، فليحافظ كلّ واحدٍ منكم على اعتقاده بذلك، وليجعله أعزّ الأشياء لديه كما هو أهمّها، بل يسعى إلى أن يزداد به يقيناً واعتباراً حتّى يكون حاضراً عنده، ينظر إليه بالبصيرة النافذة والرؤية الثاقبة، وعند الصباح يحمد القوم السرى.

علاج الضعف الديني في النفس

وإذا وجد المرء من نفسه في برهة من عنفوان شبابه ضعفاً في دينٍ مثل تثاقلٍ عن فريضةٍ أو رغبةٍ في ملذّةٍ فلا يقطعن ارتباطه بالله سبحانه وتعالى تماماً، فيصعّب على نفسه سبيل الرجعة، وليعلم أنّ الإنسان إذا تنكّر لأمر الله سبحانه في حالة الشعور بالقوّة والعافية اغتراراً بها فإنّه يؤوب إليه تعالى في مواطن العجز والضعف اضطراراً، فليتأمل حين عنفوانه – الذي لا يتجاوز مدّة محدودة – في ما هو مقبل عليه من مراحل الضعف والوهن والمرض والشيخوخة.

وإيّاه أن ينزلق إلى التشكيك في المبادئ الثابتة لتوجيه مشروعية ممارساته وسلوكه اقتفاءً لشبهات لم يصبر على متابعة البحث فيها، أو استرسالاً في الاعتماد على أفكارٍ غير ناضجة أو اغتراراً بملذّات هذه الحياة وزبرجها، أو امتعاضاً من استغلال بعضٍ لاسم الدين للمقاصد الشخصيّة، فإنّ الحق لا يقاس بالرجال بل يقاس الرجال بالحق.

الاتصاف بحسن الخلق

الثانية: الاتّصاف بحسن الخلق، فإنّه جامع للفضائل الكثيرة من الحكمة والتروّي والرفق والتواضع والتدبير والحلم والصبر وغيرها، وهو بذلك من أهمّ أسباب السعادة في الدنيا والآخرة، وأقرب الناس إلى الله سبحانه وأثقلهم ميزاناً في يومٍ تخفّ فيه الموازين هو أحسنهم أخلاقاً، فليُحسّن أحدكم أخلاقه مع أبويه وأهله وأولاده وأصدقائه وعامّة الناس، فإن وجد من نفسه قصوراً فلا يهملنّ نفسه بل يحاسبها ويسوقها بالحكمة إلى غايته،

فإن وجد تمنّعاً منها فلا ييأس بل يتكلّف الخلق الحسن، فإنّه ما تكلّف امرؤٌ طباع قوم إلاّ كان منهم، وهو في مسعاه هذا أكثر ثواباً عند الله سبحانه ممّن يجد ذلك بطبعه.

السعي في إتقان مهنة و كسب تخصّص

الثالثة: السعي في إتقان مهنة و كسب تخصّص، وإجهاد النفس فيه، والكدح لأجله، فإنّ فيه بركات كثيرة يشغل به قسماً من وقته، وينفق به على نفسه وعائلته، وينفع به مجتمعه، ويستعين به على فعل الخيرات، ويكتسب به التجارب التي تصقل عقله وتزيد خبرته، ويطيب به ماله، فإنّ المال كلّما كان التعب في تحصيله أكثر كان أكثر طيباً وبركة، كما أنّ الله سبحانه وتعالى يحبّ الإنسان الكادح الذي يجهد نفسه بالكسب والعمل، ويبغض العاطل والمهمل ممّن يكون كلاًّ على غيره، أو يقضي أوقاته باللهو واللعب، فلا ينقضينَّ شباب أحدكم من دون إتقان مهنة أو تخصّصٍ فإنّ الله سبحانه جعل في الشباب طاقاتٍ نفسيّةٍ وجسديّةٍ ليكوّن المرء من خلالها رأس مالٍ لحياته، فلا يضيعنّ بالتلهّي والإهمال.

وليهتم كلّ واحدٍ بمهنته وتخصّصه حتى يتقنها، فلا يقولنّ بغير علم ولا يعملنّ على غير خبرة، بل يعتذر فيما لا يستطيعه أو يعلمه أو فليرجع إلى غيره ممن هو أخبر منه، فإنّه أزكى له وأجلب للوثوق به، وليعمل عمله ووظيفته بنَفَسٍ واهتمام، وتذوّقٍ وإقبال، فلا يكون همّه مجرّد جمع المال ولو من غير حلّه، فإنّه لا بركة في المال الحرام، ومن جمع مالاً من غير حلّه لم يأمن من أن يفتح الله عليه من البلاء ما يضطرّ إلى إنفاقه فيه مع مزيد عناءٍ وابتلاء، فلا غنى به للمرء في الدنيا، وهو وبال عليه في الآخرة.

مراعاة أخلاقيات المهنة

وليجعل نفسه ميزاناً بينه وبين غيره فيكون عمله لغيره على نحو ما يعمله لنفسه، ويحبّ أن يعمله له الآخرون، وليحسن كما يحب أن يُحسن الله سبحانه إليه، وليراع أخلاقيات المهنة ولياقاتها، فلا يتشبث بالطرق الوضيعة التي يستحي من أن يعلنها، وليعلم أن العامل والمتخصّص مؤتمن على عمله من قِبَل من يعمل له ويرجع إليه، فليكن ناصحاً له، وليحذرنَّ خيانته من حيث لا يعلم، فإنّ الله تعالى رقيب عليه وناظر إلى عمله، ومستوفٍ منه إن عاجلاً أو آجلاً، وأنّ الخيانة والغدر لهما أقبح الأعمال عند الله سبحانه وأخطرها من حيث العواقب والآثار.

نصيحة إلى الأطباء

وليهتمّ الأطباء بين أهل المهن بمزيد اهتمام بهذه النصائح لأنهم يتعاملون مع نفوس الناس وأبدانهم، فليحذرنَّ كل الحذر من تخطّي ما تقدّم فإنّه يؤول إلى سوء العاقبة وإنّ غداً لناظره قريب.

وقد قال سبحانه عزّ من قائل: ﴿**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ(١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ**﴾، وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: (إنّ الله تعالى يحبّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه).

نصيحة إلى طلاب العلم الجامعي والأساتذة

وليهتم طلاّب العلم الجامعي والأساتذة فيه بالإحاطة بما يتعلّق بمجال تخصّصهم مما انبثق في سائر المراكز العلمية وخاصّة علم الطب حتّى يكون

علمهم ومعالجتهم لما يباشرونه في المستوى المعاصر في مجاله، بل عليهم أن يهتمّوا بتطوير العلوم من خلال المقالات العلمية النافعة والاكتشافات الرائدة، ولينافسوا المراكز العلمية الأخرى بالإمكانات المتاحة، وليأنفوا من أن يكونوا مجرّد تلامذة لغيرهم في تعلّمها ومستهلكين للآلات والأدوات التي يصنعونها، بل يساهموا مساهمة فعّالة في صناعة العلم وتوليده وإنتاجه، كما كان آباؤهم روّاداً فيها وقادةً لها في أزمنة سابقة، وليست أمة أولى من أمة بذلك، وعليكم برعاية القابليّات المتميّزة بين الناشئين والشباب ممّن يمتاز بالنبوغ ويبدو عليه التفوّق والذكاء حتّى إذا كان من الطبقات الضعيفة وأعينوهم مثل إعانتكم لأبنائكم حتّى يبلغوا المبالغ العالية في العلم النافع، فيكتب لكم مثل نتاج عملهم وينتفع به مجتمعكم وخلفكم.

التزام مكارم الأفعال والأخلاق وتجنّب مذامّها

الرابعة: التزام مكارم الأفعال والأخلاق وتجنّب مذامّها، فما من سعادةٍ وخيرٍ إلاّ ومبناها فضيلة، وما من شقاءٍ وشرٍّ – عدا ما يختبر الله به عباده – إلاّ ومنشؤهُ رذيلة، وقد صدق الله سبحانه إذ قال ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾.

فمن الخصال الفاضلة: المحاسبة للنفس، والعفاف في المظهر والنظر والسلوك، والصدق في القول، والصلة للأرحام، والأداء للأمانة والوفاء بالعهود والالتزامات، والحزم في الحق، والترفع عن التصرّفات الوضيعة والسلوكيّات السخيفة.

ومن مذامّ الخصال: العصبيّات الممقوتة، والانفعالات السريعة، والملاهي

الهابطة، ومراءاة الناس، والإسراف عند الغنى، والاعتداء عند الفقر، والتبرّم عند البلاء، والإساءة إلى الآخرين ولا سيّما الضعفاء، وهدر الأموال، وكفران النعم، والعزّة بالإثم، والإعانة على الظلم والعدوان، وحب المرء أن يُحمد على ما لم يفعله.

الفتيات والعفاف

وأؤكد على الفتيات في أمر العفاف، فإنّ المرأة لظرافتها أكثر تأذّياً وتضرّراً بالسلبيات الناتجة عن عدم الحذر تجاه ذلك، فلا ينخدعن بالعواطف الزائفة ولا يلجن في التعلقات العابرة مما تنقضي ملذّتها، وتبقى مضاعفاتها ومنغّصاتها. فلا ينبغي للفتيات التفكير إلاّ في حياة مستقرّة تملك مقوّمات الصلاح والسعادة، وما أوقر المرأة المحافظة على ثقلها ومتانتها المحتشمة في مظهرها وتصرفاتها، المشغولة بأمور حياتها وعملها ودراستها.

الاهتمام بتكوين الأسرة بالزواج والإنجاب

الخامسة: الاهتمام بتكوين الأسرة بالزواج والإنجاب من دون تأخير، فإنّ ذلك أنسٌ للإنسان ومتعة، وباعثٌ على الجدّ في العمل، وموجبٌ للوقار والشعور بالمسؤولية، واستثمارٌ للطاقات ليوم الحاجة ووقايةٌ للمرء عن كثيرٍ من المعاني المحظورة والوضيعة حتى ورد أنّ من تزوّج فقد أحرز نصف دينه، وهو قبل ذلك كلّه سنة لازمة من أوكد سنن الحياة وفطرة فطرت النفس عليها، لم يفطم امرؤ نفسه عنها إلاّ وقع في المحاذير وابتلى بالخمول والتكاسل، ولا يخافنّ أحدٌ فيه فقراً فإنّ الله سبحانه جعل في الزواج من أسباب الرزق ما لا يحتسبه المرء في بادئ نظره، وليهتم أحدكم بخلق من

يتزوجها ودينها ومنبتها، ولا يبالغنَّ في الاهتمام بالجمال والمظهر والوظيفة فإنّه اغترار سرعان ما ينكشف عنه الغطاء عند ما تفصح له الحياة عن جِدّها واختباراتها، وقد ورد في الحديث التحذير من الزواج بالمرأة لمحض جمالها، وليعلم أنّ من تزوّج امرأة لدينها وخلقها بورك له فيها.

الفتيات بين الوظيفة والأسرة

ولتحذر الفتيات وأولياؤهن من ترجيح الوظائف على تكوين الأسرة والاهتمام بها، فإنّ الزواج سنّة أكيدة في الحياة، والوظيفة أشبه بالنوافل والمتمّمات، وليس من الحكمة ترك تلك لهذه، ومن غفل عن هذا المعنى في ريعان شبابه ندم عليها عن قريب حين لا تنفعه الندامة، وفي تجارب الحياة شواهد على ذلك.

وظيفة أولياء الأمور تجاه البنات

ولا يحلّ لأوليائهنّ عضلهن عن الزواج أو وضع العراقيل أمامه بالأعراف التي لم يلزم الله بها مثل المغالاة في المهور والانتظار لبني الأعمام أو السادات، فإنّ في ذلك مفاسد عظيمة لا يطلعون عليها، وليعلم أنّ الله سبحانه لم يجعل الولاية للآباء على البنات إلاّ للنصح لهن والحرص على صلاحهن و من حبس امرأة لغير صلاحها فقد باء بإثمٍ دائمٍ ما دامت تعاني من آثار صنيعه وفتح على نفسه بذلك باباً من أبواب النيران.

السعي في أعمال البرّ ونفع الناس

السادسة: السعي في أعمال البرّ ونفع الناس ومراعاة الصالح العامّ، ولا سيّما ما يتعلّق بشؤون الأيتام والأرامل والمحرومين، فإنّ فيها تنمية للإيمان

وتهذيباً للنفس وزكاة لما أوتيه المرء من نعم وخيرات، وفيها سنّ للفضيلة وتعاون على البرّ والتقوى وأداء صامت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومساعدة لأولياء الأمور على حفظ النظام العام ورعاية المصالح العامة، وموجبٌ لتغيير حال المجتمع إلى الأفضل، فهو بركة في هذه الدنيا ورصيد للآخرة، وإنّ الله سبحانه يحبّ المجتمع المتكافل المتآزر الذي يهتّم المرء فيه بهموم إخوانه وبني نوعه ويحبّ لهم من الخير مثل ما يحبّ لنفسه.

وقد قال عزّ من قائل: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ**﴾، وقال: ﴿**إِنَّ اللهَّ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: (لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه ويكره لأخيه ما يكره لنفسه)، وقال أيضاً: (من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها).

أن يُحسن كلّ امرئ وليَ شيئاً من شؤون الآخرين أمر ما تولاّه

السابعة: أن يُحسن كلّ امرئ وليَ شيئاً من شؤون الآخرين أمر ما تولاّه، سواء في الأسرة أو في المجتمع، فليُحسن الآباء رعاية أولادهم والأزواج رعاية أهاليهم وليتجنّبوا العنف والقسوة حتّى فيما اقتضى الموقف الحزم رعايةً للحكمة وحفاظاً على الأسرة والمجتمع، فإنّ أساليب الحزم لا تنحصر بالإيذاء الجسدي أو الألفاظ النابية بل هناك أدوات ومناهج تربوية أخرى يجدها من بحث عنها وشاور أهل الخبرة والحكمة بشأنها، بل الأساليب القاسية كثيراً ما تؤدّي إلى عكس المطلوب بتجذّر الحالة التي يراد علاجها وانكسار الشخص الذي يُراد إصلاحه، ولا خير في حزمٍ يقتضي ظُلماً، ولا في علاج لخطأٍ بخطيئة.

نصيحة إلى أولياء الأمور بالنصح وعدم الخيانة

ومن ولّي أمراً من أمور المجتمع فليهتمّ به وليكن ناصحاً لهم فيه ولا يخونهم فيما يغيب عنهم من واجباته، فإنّ الله سبحانه متولٍّ لأمورهم وأمره جميعاً و سوف يسأله يوم القيامة سؤالاً حثيثاً، فلا ينفقن أموال الناس في غير حلّها، ولا يقرّرن قراراً في غير جهة النصح لهم، ولا يستغلّن موقعه لتكوين فئة وحزب يتستّر بعضهم على بعضٍ ويتبادلون المنافع المحظورة والأموال المشبوهة، ويزيحون الآخرين عن مواضع يستحقونها أو يمنعون عنهم خدمات يستوجبونها، وليكن عمله لجميع الناس على وجه واحد فلا يجعله سبيلاً للمجازاة على حقوق خاصّة عليه لقرابة أو إحسان أو غير ذلك، فإنّ وفاء الحقوق الخاصّة بالحق العام جور وفساد، فإن ساغ لك ترجيح أحد فعليك بترجيح الضعيف الذي لا حيلة له ولا جهة وراءهُ ولا معين له على أخذ حقّه إلاّ الله سبحانه. ولا يستظهرنّ أحد في توجيه عمله بدين أو مذهب، فإنّ الدين والمذاهب الحقّة قائمة على المبادئ الحقّة من رعاية العدل والإحسان والأمانة وغيرها، وقد قال الله سبحانه: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾، وقال الإمام عليه السلام: (إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن: لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقَّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعْتِعٍ). فمن بنى على غير ذلك فقد زيّن لنفسه الأماني الزائفة والآمال الكاذبة، وأحقّ الناس بأئمة العدل كالنبيّ صلى الله عليه وآله، والإمام علي عليه السلام، والحسين الشهيد عليه السلام أعملهم بأقوالهم وأتبعهم لسيرتهم، وليلتزم المتولي لأمور الناس بمطالعة رسالة الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر عندما بعثه إلى مصر، فإنّها وصف جامع لمبادئ العدل وأداء الأمانة وهو نافعٌ للولاة ومن

دونهم كلٌّ بحسب ما يناسب حاله، وكلّما كان ما تولاّه المرء أوسع كان ذلك له ألزم وآكد.

أن يتحلّى المرء بروح التعلّم وهمّ الازدياد من الحكمة والمعرفة

الثامنة: أن يتحلّى المرء بروح التعلّم وهمّ الازدياد من الحكمة والمعرفة في جميع مراحل حياته ومختلف أحواله، فيتأمل أفعاله وسجاياه وآثارها وينظر في الحوادث التي تدور حوله ونتائجها، حتى يزداد في كلّ يوم معرفة وتجربة وفضلاً، فإنّ هذه الحياة مدرسة متعدّدة أبعادها، عميقة أغوارها، لا يستغني المرء فيها عن التزوّد من العلم والمعرفة والخبرة، ففي كلّ فعل وحدث دلالة وعبرة، وفي كلّ واقعة رسالة ومغزى، تفصح لمن تأمّلها عما ينتمي إليه من الظواهر والسنن، وتُمثّل ما يناسبها من العظات والعبر، فلا يستغني المرء فيها عن التزود من العلم والمعرفة والخبرة حتّى يلقى الله سبحانه، وكلّما كان المرء أكثر تبصّراً أغناه ذلك في معرفة الحقائق عن مزيد من التجارب والأخطاء. وقد قال تعالى: ﴿**وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**﴾، وقال لنبيّه ﷺ: ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾.

الأنس بكتب ثلاثة يتزود منها

وينبغي للمرء أن يأنس بكتبٍ ثلاثة يتزوّد منها بالتأمّل والتفكير:

أوّلها وأولاها: القرآن الكريم فهو آخر رسالة من الله سبحانه إلى خلقه وقد أرسلها إليهم ليثير دفائن العقول ويفجّر من خلالها ينابيع الحكمة، ويليّن بها قساوة القلوب، وقد بيّن فيها الحوادث ضرباً للأمثال، فعلى المرء

أن لا يترك تلاوة هذا الكتاب على نفسه، يُشعرها أنّه يستمع إلى خطاب الله سبحانه له، فإنّه تعالى أنزل كتابه رسالة منه إلى جميع العالمين.

وثانيها: نهج البلاغة فإنّه على العموم تبيين لمضامين القرآن وإشاراته بأسلوب بليغ يُحفّز في المرء روح التأمل والتفكير والاتّعاظ والحكمة. فلا ينبغي للمرء أن يترك مطالعته كلّما وجد فراغاً أو فرصة، وليشعر نفسه بأنّه ممّن يخطب فيهم الإمام عليه السلام كما يتمنّاه، وليهتمّ برسالته عليه السلام إلى ابنه الحسن عليه السلام فإنّها جاءت لمثل هذه الغاية.

وثالثها: الصحيفة السجّادية فإنّها تتضمّن أدعية بليغة تستمدّ مضامينها من القرآن الكريم وفيها تعليم لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من توجّهات وهواجس ورؤى وطموح، وبيان لكيفيّة محاسبته لنفسه ونقده لها ومكاشفتها بخباياها وأسرارها، ولا سيّما دعاء مكارم الأخلاق منها.

الخاتمة: في ضرورة الأخذ بها أو السعي إليها

فهذه ثمان وصايا هي أصول الاستقامة في الحياة وأركانها ، وهي تذكرة ليس إلاّ، إذ يجد المرء عليها نور الحق وضياء الحقيقة وصفاء الفطرة وشواهد العقل وتجارب الحياة قد نبّهت عليها الرسائل الإلهية ومواعظ المتبصّرين، فينبغي لكلّ امرئ أن يأخذ بها أو يسعى إليها ولا سيّما الشباب الذين هم في عنفوان طاقتهم وقدراتهم الجسدية والنفسية والتي هي رأس مال الإنسان في الحياة، فإن فاتهم بعضها أو المرتبة العالية منها فليعلموا أنّ أخذ القليل خيرٌ من ترك الكثير، وإدراك البعض خير من فوات الكل، وقد قال سبحانه: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾.

أسأل الله أن يوفقكم لما يفضي بكم إلى السعادة والسداد في الآخرة والأولى فإنّه وليّ التوفيق.

٢٨/ ربيع الأول/ ١٤٣٧هـ

فهرس المصادر

١- الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت/ لبنان ط١، ٢٠٠٦م.

٢- شرح المختصر، سعد الدين التفتازاني، اسماعيليان ط٢ ١٤٢٧هـ.

٣- مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، انتشارات ناصر خسرو- طهران، ط١، ١٩٨٦م.

٤- النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني، حامد الخفاف.

٥- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الرسالة / الكويت ١٩٨٣م.

٦- العولمة بين التصورات الإسلامية والغربية، السيد حسن بحر العلوم، منشورات دار الزهراء، ط٣، ٢٠٠٦م.

٧- مكارم الأخلاق، الشيخ رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، مؤسسة المراقد المقدسة العالمية، بيروت/ لبنان.

٨- جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي الناراقي، اسماعيليان ط ٤، ١٤٢٥هـ.

٩- وسائل الشيعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، ط٣، ٢٠٠٨م.

١٠- الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، دار التعارف للمطبوعات،

بيروت/ لبنان، ٢٠٠٩م.
١١- مجلة الجامعة الإسلامية العدد الأول.
١٢- بحار الأنوار، المجلسي، مؤسسة الوفاء-بيروت/ لبنان ط٢، ١٩٨٣م.
١٣- ميزان الحكمة، الريشهري، قم، دار الحديث، ط١، ١٤١٦هـ.
١٤- الصحيفة السجادية، دار المتقين، بيروت/ لبنان ط١ ١٤٣٣هـ.
١٥- لواعج الأشجان، السيد محسن الأمين.

الفهرس

المقدمة ٥

تمهيد لا بد منه ٧

هناك جملة من التحديات التي يواجهها الشباب ومن أهمّها ١٥

أولاً: الخجل وبداية التكليف ١٥

ثانياً: الصداقة في فكر أهل البيت عليهم السلام ١٩

مقومات الصديق الصالح ٢٠

لماذا نختار الصديق الصالح؟ ٢١

الاختبار بعد الاختيار ٢٢

بالاحترام تدوم الصداقة ٢٣

ثالثاً: الشاب المسلم وتحديات العولمة الثقافية ٢٥

رابعاً: الشباب والزواج ٢٩

أفضل الستر الزواج ٣٢

خامساً: المؤمن كفؤ المؤمنة ٣٣

سادساً: عاشوراء ملهمة الشباب ٣٧

الحشد الشعبي ثمرة شعيرة عاشوراء ٣٩

سابعاً: الشباب المسلم وشراك المضلين..... ٤١
طريق صنع الشخصية..... ٤٢
الثواب والعقاب وعلاقتهما بالعدل الإلهي ٤٣
ديمومة إعجاز القرآن الكريم..... ٤٤
ثامناً: وما محمد إلا رسول ٤٧
تاسعاً: الأحكام الشرعية وشمولها لجميع البشر ٥١
عاشراً: الفقهاء أمناء على شريعة الله تعالى..... ٥٥
حادي عشر: دور السيد السيستاني (دام ظله) في المشهد السياسي ٦٣
المرجعية وبناء الدولة..... ٦٤
السيد يُحذر مجلس الأمن ٧٠
اللمسات الأخيرة..... ٧١
الارادة تحقق المستحيل ٧٢
(ملحق): نصائح سماحة السيد السيستاني (دام ظلّه) للشباب المؤمن ٧٧
لزوم الاعتقاد الحق بالله سبحانه والدار الآخرة..... ٧٨
علاج الضعف الديني في النفس ٧٩
الاتصاف بحسن الخلق ٧٩
السعي في إتقان مهنة و كسب تخصّص ٨٠
مراعاة أخلاقيات المهنة..... ٨١
نصيحة إلى الأطباء ٨١
نصيحة إلى طلاب العلم الجامعي والأساتذة ٨١
التزام مكارم الأفعال والأخلاق وتجنّب مذامّها ٨٢

الفتيات والعفاف ٨٣
الاهتمام بتكوين الأسرة بالزواج والإنجاب ٨٣
الفتيات بين الوظيفة والأسرة ٨٤
وظيفة أولياء الأمور تجاه البنات ٨٤
السعي في أعمال البرّ ونفع الناس ٨٤
أن يُحسن كلّ امرئ وليَ شيئاً من شؤون الآخرين أمر ما تولاّه ٨٥
نصيحة إلى أولياء الأمور بالنصح وعدم الخيانة ٨٦
أن يتحلّى المرء بروح التعلّم وهمّ الازدياد من الحكمة والمعرفة ٨٧
الأنس بكتب ثلاثة يتزود منها ٨٧
الخاتمة: في ضرورة الأخذ بها أو السعي إليها ٨٨
فهرس المصادر ٩١

تم بحمد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمدٍ وآله الطاهرين . . .

أمّا بعد فإنّني أوصي الشباب الأعزاء ـ الذين يعنيني من أمرهم ما يعنيني من أمر نفسي وأهلي ـ بثمان وصايا هي تمام السعادة في هذه الحياة وما بعدها، وهي خلاصة رسائل الله سبحانه إلى خلقه وعظة الحكماء والصالحين من عباده، وما أفضت إليه تجاربي وانتهى إليه علمي .

سماحة المرجع الديني الاعلى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله

قسم الشؤون الدينية / شعبة التبليغ
www.imamali-a.com
07700554186